# المصنوعات الفخارية والخشبية

تعني كلمة فخار كل مادة تنتج من الصلصال المحروق. والصلصال مادة طينية في الطبيعة وتتحول إلى مادة طرية لزجة عند اختلاطها بالماء، فيسهل تشكيلها حسب النموذج المطلوب، ثم تحرق في أفران خاصة أو تترك لتجف في الشمس. ومادة الصلصال تنقسم إلى نوعين، أحدهما أساسي والآخر ثانوي. فأما الأساسي فهو الصلصال الذي يكون في أماكن تشكيله الأصلية، وأما الثانوي فهو الصلصال الذي يكون في أماكن نقلته إليها عوامل الطبيعة، مثل الرياح والمياه. والفرق بين الاثنين هو أن الصلصال الأساسي أقل شوائب من الصلصال الثانوي.

وتشكل المنتجات الفخارية أهمية خاصة في استخدامها في كل الحضارات. فهي من أهم ما خلّفه الإنسان على امتداد العصور المتعاقبة، بفضل بقاء هذه المادة في طبقات الأرض، بحكم تحملها لعوادي الزمن وكثرة استخدام الإنسان لها في مختلف أغراض حياته بتنوع كبير. كما أن سهولة تتبع تطورها الزمني بدراسة الأساليب الصناعية والزخرفية التي مارسها الإنسان عبر العصور، زادت من أهميتها.

عرف الإنسان مادة الطين منذ أواخر العصر الحجري القديم واستخدمها في تغطية سقوف أكواخه وتبطين جدرانها، واستفاد منها أيضاً في تبطين سلال الخوص المعدة لنقل الماء والسوائل الأخرى. كما بطّن بها جدران مواقده، وصنع منها التماثيل المختلفة، خاصة تماثيل الأمومة، فضلاً عن صناعة الأواني المتنوعة التي اعتمد عليها في حياته. ولكنه لم يكن على علم بأن للحرارة تأثيراً في تغيّر الخواص الفيزيائية والكيميائية للصلصال كلما ارتفعت

درجتها. ويعتقد أن هذا الاكتشاف يعود للعصر الحجري الحديث أو قبيله بقليل، أي في حدود الألف السابع قبل الميلاد.

ويحتاج الصلصال ليصبح مادة يمكن تشكيلها إلى إعداد يبدأ بالحصول عليه من مصادره الطبيعية، ثم تنقيته من الشوائب العالقة به، ثم مزجه بمادة تساعد على تشكيله، مثل القش أو الرمل أو كسر الحصى أو ما شابه ذلك. بعد ذلك يُعجن بخلطه بالماء، ثم يترك لمدة حتى يتخمر ومن ثم يشكل حسب الحجم والنموذج المطلوب.

وقد مرت صناعة الأواني الفخارية بتطور تقني شمل طرق التشكيل ووسائل الحرق. فمن ناحية طرق التشكيل فقد بدئ باستخدام اليد في بناء الآنية مع الاستفادة من عدة وسائل، أهمها استخدام القطعة الواحدة، والشرائط الصلصالية، والقطع الصلصالية المستطيلة. ثم استفاد الصانع من استخدام القوالب التي تصنع في الغالب من الخشب أو الحجر، وتتكون من قطعتين أو قطعة واحدة. وتوصل الإنسان بعد ذلك إلى استخدام العجلة البطيئة، ثم طورها فيما بعد لتصبح عجلة سريعة، واستمرت العجلة مستخدمة إلى يومنا هذا، مع خضوعها لتطوير مستمر.

أما من ناحية طرق الحرق فقد طورها الإنسان في ناحيتين. الناحية الأولى تطويره لنوعية الحرق، إذ بدأ يحرق الأواني بمجرد تجفيفها تحت أشعة الشمس. ثم أخذ يحرقها بإشعال الأخشاب بداخلها لتأخذ صلابة أكثر، وقام بعد ذلك بوضع مادة الإشعال في حفرة يضع عليها الأواني المراد حرقها، كما يضع على الأواني مادة إشعال أخرى، وتوصل بعد ذلك إلى عملية بناء الأفران. فبدأ باستخدام الفرن الصغير البسيط التركيب، ثم طوره إلى الفرن ذي الفتحة العليا، وزوده باستعدادات أخرى، مثل الحواجز، وأماكن قياس درجة الحرارة، ورفوف صف الأواني، وفتحات يستخدمها عندما يريد أن يمنع دخول الأكسجين. ثم طوره إلى الفرن ذي الفتحة السفلى ليأخذ الهواء دورة كاملة، وبهذا تتحقق درجة حرارة عالية. ومن الناحية الثانية تمكن من معرفة تأثير الهواء في استمرار عملية الاشتعال، وتوليد الحرارة. ففي البداية كان الحرق عشوائياً دون تحكم بالهواء، فتخرج الأواني رديئة في لونها ودرجة تحملها. ولكن الصانع أدرك بعد ذلك أن لدرجة

حرارة الحرق والهواء أثراً في إنتاج أوانٍ ذوات ألوان، فأحدث في الأفران إضافات تساعده في التحكم في تزويد عملية الاشتعال بالهواء. ثم أدرك أن منع الهواء يمكّنه من إنتاج أوان بألوان معينة، فعمل على تحقيق ذلك بالتحكم في دخول وخروج الهواء متى أراد. كما أدرك أن الحرارة كلما ارتفعت جعلت الآنية أكثر صلابة، فعمل أيضاً على اختيار مادة الوقود المناسبة.

## الفخار القديم في الجزيرة العربية

ثبت أن الأواني الفخارية المكتشفة في الجزيرة العربية هي من الفترة المعاصرة لها في بلاد العالم القديم. وتدل المجموعات الفخارية التي عُثر عليها في الجزيرة العربية على استخدام عدة أساليب لصناعة الفخار، كالطرق اليدوية واستخدام القالب والعجلة البطيئة والسريعة.

وتفيد الأبحاث الأثرية أن أقدم أنواع الفخار المكتشفة في الجزيرة العربية، والمؤرخة بنهاية الألف السادس وأوائل الألف الخامس قبل الميلاد، قد صنعت بالدولاب الفخاري. كما اكتشفت بعض الأفران الدالة على تطور طرق الحرق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، إذ عثر على بعض الأفران التي تعود لذلك التاريخ في الإمارات العربية المتحدة. كما عثر على أفران في سلطنة عُمان تؤرخ بالألف الثالث قبل الميلاد. وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقول إن الظاهرتين الأساسيتين في تطور الصناعات الفخارية، وهما الدولاب الفخاري وأفران الحرق، عرفتهما الجزيرة العربية في وقت مبكر قد يسبق معرفتهما في كثير من أقطار العالم القديم.

بدأ الاهتمام بالفخار كمادة أثرية مساعدة في دراسة الاستيطان في المملكة، منذ الخمسينيات من هذا القرن، إذ نشر دكسون Dickson وزوجته عدداً من الكسر الفخارية من موقع ثاج المشهور في المنطقة الشرقية. بعد ذلك قام ليونارد بوين Bowen بنشر مجموعة فخارية من موقع عين جاوان عام ١٩٥٠م، كان قد عُثر عليها بطريق المصادفة. وفي سنة ١٩٥٧م تمكن فيلبي Philby من العثور على مجموعات من الكسر الفخارية في عدد من المواقع في شمال غرب المملكة. ثم توالت المقالات القصيرة التي نشرها بول لاب Paul Lapp، وبيتر بار Peter Parr، وصبحي أنور رشيد، وجون دايتون John Dayton، وفان بيك Van Beek. وفي سنة ١٩٧٠م بدأت

الإشارات إلى فخار المنطقة الشرقية تظهر في مقالات مارني جولدنج Marney Golding، وجريس بكهولدر Grace Burkholder. وفي سنة ١٩٧٣م نشرت البعثة الدانمركية الثانية في الجزيرة العربية تقريراً أولياً عن أعمالها في شرق المملكة ضمنته بعض الكسر الفخارية، وكان أغلبها من موقع ثاج. وفي سنة ١٩٧٤م. نشر عبدالله حسن المصري مجموعة كبيرة من فخار المنطقة الشرقية في أطروحته لدرجة الدكتوراه.

وابتداءً من سنة ١٩٧٦م قامت إدارة الآثار والمتاحف السعودية بإجراء أعمالها الميدانية المسحية في الأقاليم الستة للمملكة، وأنجزت حتى سنة ١٩٧٩م موسمين في كل إقليم، إلا الإقليم الأوسط والإقليم الشمالي فقد نفذت أربعة مواسم في كل منهما، اثنان رئيسيان، واثنان جزئيان. ونشرت نتائج هذه المسوح في تقارير أولية ضمت مادة أثرية ضئيلة أحياناً، وغزيرة أحياناً أخرى، ومن بينها مادة الأواني الفخارية.

وبدأ بعد ذلك تنفيذ مواسم التنقيب في بعض المواقع التي شملت، تيماء، ودومة الجندل، ومدائن صالح، وثاج، ومقابر جنوب الظهران، وسهي، والأخدود. وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه المواقع قد تعرضت لموسم واحد، وبعضها تعرض لثلاثة مواسم أو أكثر.

بالإضافة إلى ذلك، كان لطلاب الدراسات العليا زيارات ميدانية، فاجتمعت مادة فخارية من مواقع متعددة بفترات زمنية مختلفة، وضمنت تلك المادة في دراسات أنجزها عدد من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك سعود.

**فخار العصر الحجري الحديث.** ظهر الفخار في أوائل العصر الحجري الحديث في هذه المنطقة في تاريخ يوازي تاريخ ما وجد منه في كثير من أقطار الشرق الأدنى القديم، على الرغم من أن كثيراً من مواقع العصر الحجري الحديث في المملكة لم تدرس بعد، وأن عملية التنقيب اقتصرت على مجسات صغيرة في شرق المملكة. وتدل الأبحاث الأثرية المنشورة، على أنّ صناعة الفخار في ذلك الوقت المبكر عرفت في جميع أجزاء المنطقة، وهي تشمل الفخار الملون وغير الملون، المؤرخ إلى العصر الحجري الحديث.

أما الفخار الملون المؤرخ بالعصر الحجري الحديث فيقتصر انتشاره على منطقة شرق المملكة، حيث وجد في حوالي أربعين موقعاً، منها بضعة مواقع رئيسية، والأخرى وجد في كل منها عدد

من الكسر قد لا تزيد عن كسرة واحدة بالموقع.

ويعود اكتشاف الفخار الملون المؤرخ إلى العصر الحجري الحديث والتعرف عليه في مناطق المملكة إلى عهد قريب. وقد تم ذلك في سنة ١٩٦٨م، بفضل جهود مدرستين كانتا تعملان في شركة أرامكو السعودية في تدريس اللغة الإنجليزية، والباحث الجيولوجي البريطاني جفري بيبي Geoffrey Bibby، الذي استطاع تأريخ هذا النوع بالعصر الحجري الحديث، وأطلق عليه اسم فخار العُبيد. وقام بعد ذلك عبدالله حسن المصري بمسح مواقع معينة سنة ١٩٧٢م في المنطقة الشرقية، وقدم أكبر كمية من الفخار منشورة حتى اليوم.

ويظهر فخار هذه الفترة مدهوناً بعجينة صلصالية خشنة في أغلب الأحوال، وفي حالات قليلة تكون العجينة نقية التركيب. وتظهر العجينة بألوان متعددة، منها الأخضر، والأخضر الغامق، والأصفر الرمادي، والأحمر الزهري، والأحمر البرتقالي، والأحمر القاتم. ويظهر في بعض الكسر لب أسود يتخلل العجينة الصلصالية، كما وجدت بعض الكسر محروقة إلى درجة التشوه. ويلاحظ أن المادة المستخدمة في تقوية العجينة الصلصالية تقتصر على أعواد القش، وقد تضاف كسر الحجارة الكلسية للعجينة في بعض الأحيان.

وتخرج الأواني غالباً بدون إنهاء خارجي واضح، ويقتصر ذلك على بطانة ذات لون أصفر، ظهورها مقصور على الأواني ذوات العجينة الحمراء أو البنية.

أما الزخرفة، فإن ما ذكر بخصوصها يقتصر على الدهان الذي يستخدم بطريقتين: الأولى استخدام الألوان، مثل الأسود قليل السُمك وأحياناً السميك، والأحمر، والبني، والبني الغامق القليل السُمك أو السَميك، والثانية استخدام الدهان ليعكس عناصر زخرفية محددة داخل نماذج زخرفية تشتمل على أكثر من عنصر. وتشتمل العناصر الزخرفية على أشرطة أفقية متوالية عمودياً قد تكون عريضة، وأحياناً تمثل خطوطاً رفيعة. كما أن هذه الأشرطة قد تكون مزخرفة بأعمدة رأسية، أو بشبكة متقاطعة بأشكال مربعات ومثلثات معلقة تحصر بينها شبكة ذات تقاطعات تظهر أشكالاً مربعة، فأشكالاً نباتية تقتصر على وردة التين. وقد تأتي على شكل خطوط متعرجة ومتكررة عمودياً، أو خطوط متعرجة ومتقاطعة لتظهر شكل سلسلة، أو صفوف متوالية من الأشرطة المثلثة

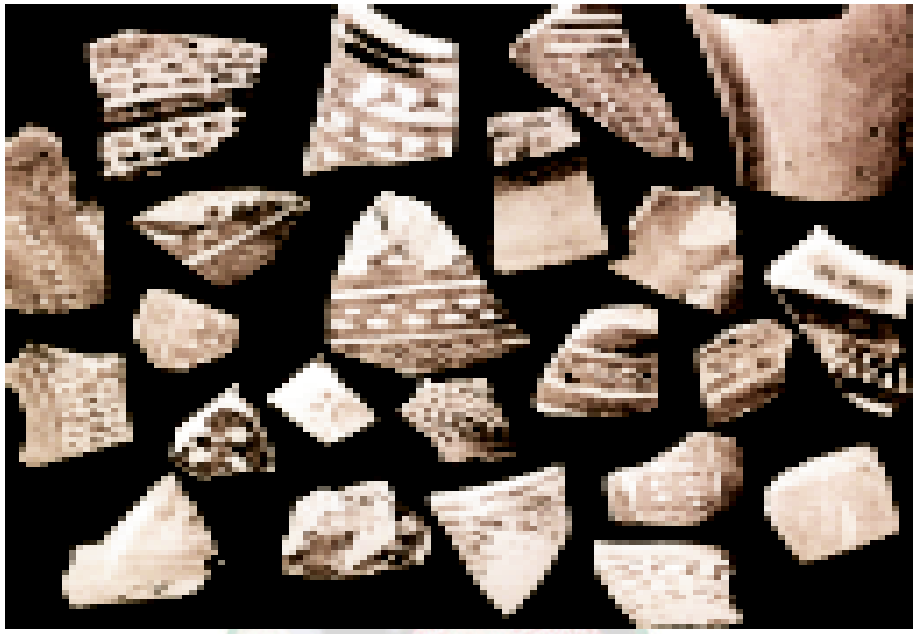

كسر من فخار العُبيد

الشكل، أو خطوط متكسرة، أو أشكال على هيئة رأس شوكة، أو مثلثات رأسية، أو نقاط دائرية.

ولمّا كان أغلب المنشور هو كسر صغيرة، فإن أشكال الأواني ذات العلاقة تقتصر على طاسات عميقة بجوانب شبه مستقيمة، وأخرى بجوانب مقوسة أو منبعجة للخارج، وصحون بجوانب منبعجة وعميقة، وأخرى غير عميقة بجوانب شبه مستقيمة. ووجد نمطان للقاعدة، أحدهما النمط الدائري المسطح، والآخر النمط الدائري العالي. أما المقابض فلم يوجد إلا ما هو على شكل أُذن عمودية لها فتحة في الوسط. ويظهر في هذا الفخار الحواف المعطوفة بشدة للخارج، والحواف العادية.

وعلى الرغم من قِدَم هذا الفخار لوحظ أن بعضه صنع على العجلة السريعة، وبعضه صنع باليد المجردة، أو بالعجلة البطيئة.

وخارج نطاق المملكة وداخل الجزيرة العربية وجد هذا النوع من الفخار في البحرين وقطر وبعض المقابر في الإمارات العربية المتحدة.

أما الفخار غير الملون، الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث، فقد اكتشف في عدد من المواقع التي يغطي

انتشارها أجزاء المملكة. ففي شرقها اكتشف هذا النوع في حفريات عين قناص جنباً إلى جنب مع الفخار الملون.

ويمتاز فخار الجزء الشرقي خلال هذه الفترة بتنوعه. فمن ناحية العجينة فإنها تظهر بألوان مختلفة اشتملت على الأخضر الفاتح، والأحمر، والمحمر الفاتح والقاتم، والبني الفاتح والغامق، والمصفر والمخضر، كما تختلف نقاوة العجينة، فمنها الخشنة ومنها النقية ومنها متوسطة النقاوة. ويلاحظ أن العجينة النقية يضاف إليها الرمل كمادة مساعدة، بينما العجينة الخشنة تكون ممزوجة بالتبن أو القش. أما العجينة المتوسطة الخشونة فإنها تمزج بكسر من الحصى. كما تحتوي العجينة الخشنة على لب أسود. وقد يكون هذا الفخار محروقاً حرقاً جيداً أو وسطاً. ويظهر على عجينة قواعد الأواني الخشنة طبعات حصير. أما نمط القاعدة فهو النمط المستدير المسطح. ولوحظ أن بعض الأواني مصنّعة بأشكال مشوهة، ومعظم ما اكتشف هو أجزاء من طاسات مفتوحة كبيرة ولها قواعد مسطحة دائرية.

ويظهر على هذا الفخار بطانة بلون مصفر ويقتصر ظهورها على الأواني النقية العجينة، أو المتوسطة الخشونة.

إناء من فخار العُبيد، تظهر عليه زخارف هندسية باللون الأسود

وأغلب ظهورها كان على الفخار ذي العجينة الحمراء.

ويعتقد أن هذا النوع من الفخار ظهر قبل النوع الملون، ثم استمر تصنيعه خلال إنتاج الفخار الملون. وكلا النوعين يظهران بألوان عجينة واحدة لها البطانة نفسها والمادة المستخدمة في تقوية العجينة الفخارية.

واكتشف في الإقليم الشمالي الغربي فخار يعود إلى الامتداد الزمني لهذا العصر. وقد وجد في ثلاثة مواقع للدوائر الحجرية، وخمسة مواقع للرجوم

الحجرية. وفي الموقعين المسجلين في سجلات إدارة الآثار والمتاحف السعودية بالرقمين (٢١٦-٣٣, ٤٧) وجدت مجموعة من الكسر وصفت بأنّ عجينتها حمراء، ومحروقة حرقاً رديئاً، ومخلوطة بالقش لتقوية العجينة الصلصالية، وعليها طلاء بني من الداخل.

ووجد فخار العصر الحجري الحديث في ثلاثة مواقع في الإقليم الشمالي، أحدها يقع في قرية جبّة المشهورة، ووصف بأنه صناعة يدوية. كما عثر على فخار بنّي خشن في عدد من الدوائر الحجرية في جنوب منطقة الرياض. وعثر على مجموعة من الكسر في الموقع المسجل لدى إدارة الآثار برقم ٢١١-٦٢ في المنطقة نفسها، وهو رأس لأحد المنشآت المذيلة.

**فخار الألف الثالث قبل الميلاد.** يعتقد أن الفخار المعروف باسم فخار العبيد قد انتهى إنتاجه في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، أي في حوالي ٣٦٠٠ قبل الميلاد، ولكن لا يوجد تعليل لكيفية انتهائه، ولا ذكر للفخار الذي خلفه في المنطقة الشرقية للمملكة. وفي السنوات الخمس الأخيرة نشرت بضعة تقارير عن أعمال البعثة الفرنسية في مستوطنة (هيلي ٨) في الإمارات العربية المتحدة، تفيد أن هناك حضارة أطلقت عليها حضارة الفترة الأولى في هيلي، يرقى تاريخها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وقد نشرت كمية من فخار هذه الفترة، وحتى اليوم لم يرد في التقارير الأثرية ما يفيد اكتشاف ما يماثل ذلك الفخار في المنطقة الشرقية للمملكة.

ويعتقد أن فترة هيلي الأولى قد انتهت في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، وظهرت خلفاً لها فترة هيلي الثانية التي عدت موازية زمنياً لما يعرف في شرق الجزيرة العربية بشكل عام باسم حضارة أم النار. والواقع أن ما يعرف عن هذه الفترة وفخارها في شرق المملكة قليل جداً، وقد اقتصر ذكر وجودها فيتل تاروت في ضوء حفريات البعثة الدانماركية الثانية، وهو الشيء الذي أيده عبدالله حسن مصري عندما أنجز أبحاثه سنة ١٩٧٢م في التل نفسه. أما الموقع الثاني الذي نقبت أجزاء منه ويوحي بأنها تعود لهذه الفترة فهو موقع مقابر جنوب الظهران. ويتلخص كل ما ورد بخصوص الفخار في العثور على كوب فخاري بعجينة حمراء رقيقة مزخرف باللون الأسود، وكسرة مزخرفة بخطوط هندسية سوداء، وجرة بعجينة حمراء جيدة مزخرفة باللون الأسود. ولكن عدا ما

ذكر فإن ما نشر من الموقع نفسه من الفخار الملون يعود للنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، أو ما يعرف باسم فترة دلمون.

ويظهر فخار هذه الفترة الملون بعجينة رمادية أو بنية أو حمراء أو بنية ضاربة للسواد. كما يظهر ناعماً في أكثر الأحوال، ويخالطه أحياناً كسر من الحصى ربما أضيفت للعجينة الصلصالية لتقويتها. ويُنهى عادة بإضافة بطانة بألوان (البيج)، تكون على الأواني المتوسطة والصغيرة الحجم. أما على الجرار الكبيرة المعدة للتخزين فتكون البطانة باللون الأبيض، وتقتصر على الجزء الداخلي للإناء. ويظهر عليه عناصر زخرفية نفذت باستخدام طريقتي الحز والألوان. أما الحز فقد اقتصر على أمثلة بسيطة، كعنصر المثلثات إلى جانب عناصر أخرى نفذت باستخدام الدهان. ويقتصر لون الدهان المستخدم على الأسود والأحمر. وقد يُستخدم أحياناً اللونان في آن لتنفيذ عناصر زخرفية داخل نماذج تشتمل على الأشرطة الأفقية أو العمودية أو كليهما. كما يظهر الدهان عناصر نباتية، مثل سعف النخيل أو الورود أو صفوف من النقط عملت لتصميم وردة معينة. ويستخدم الدهان في بعض الحالات لتزخرف به الحافة، أو ليغطى به أحياناً الإناء بالكامل. وفي بعض الحالات يكون داخل الإناء مطلياً بلون وخارجه مطلياً بلون آخر.

وتظهر المجموعة المنشورة من شرق المملكة تنوعاً في الشكل يشتمل على الجرار الأسطوانية، والجرار الجؤجؤية، والجرار المضلعة، والطاسات العميقة ذات الجوانب شبه المستقيمة. كما وجدت أوانٍ صغيرة مثل الأكواب والصحون مقوسة الجوانب. واكتشفت صنابير لبعض الأواني. أما نمط القاعدة فإنه في أغلب الأحوال دائري مسطح.

أما الفخار غير الملون من المواقع نفسها في شرق المملكة فهو نسخة من الفخار المدهون سوى أنه ينقصه الدهان. وخلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد اكتشف ما يعرف باسم فخار دلمون، ويعتقد أنه جاء مع هجرات من غرب الجزيرة العربية إلى شرقها. وقد رجح جفري بيبي G. Bibby أنه جاء مع هجرات انطلقت من منطقة اليمامة.

ويمتاز فخار هذه الفترة بأنه يظهر بعجينة خشنة ومسامية في أغلب الأحوال، وبعجينة متعددة الألوان تشتمل على الأحمر القاتم، والبني، وهما اللونان الشائعان. كما يظهر اللون الأصفر المُسْمَرّ الباهت، والبرتقالي،

أنموذج من فخار الألف الثالث قبل الميلاد فترة دلمون من موقع مقابر جنوب الظهران بالمنطقة الشرقية

والرملي، والأسود، ومتعدد الألوان. ويندر وجود الزخرفة على هذا الفخار إلا أن بعض الأواني ذات أبدان مضلعة، وقد يقتصر في بعض الأحيان على رقبة الإناء. وينهى الإناء بإضافة بطانة على السطحين أو أحدهما. واستخدم في تقوية العجينة الصلصالية غالباً كسر من الحجر الجيري أو الأصداف المجروشة. ويظهر الفخار أحياناً رقيقاً ذا عجينة جيدة وحرق جيد.

وقد وجد هذا الفخار بسماته المذكورة في أماكن مختلفة من المملكة، ذكر بأنها مواقع دوائر حجرية ومقابر رجومية. ولعل من أهم هذه المواقع موقعي جبّة والرجاجيل في الإقليم الشمالي في منطقة حائل والجوف. ويتصف فخار هذه المواقع بشكل عام بأنه رديء الصناعة، وأكثره مصنوع باليد، ويخرج بعجينة حمراء قاتمة أو بنية ويتخلله لب أسود. ولا يوجد عليه إنهاء خارجي أو أي نوع من الزخرفة. ووجد على بعضه طبعات الحصير خاصة على قواعد الأواني. وتخالطه شوائب إما عضوية مثل القش، أو كسر من حصى الجرانيت. وله غالباً قواعد مسطحة ومقابض أذنية موضوعة رأسياً، أو أفريز على شكل حافة صغيرة، ويتصف بأن حرقه رديء.

**فخار الألف الثاني قبل الميلاد.** تشير الدلائل الأثرية إلى أن الاستيطان استمر من دون انقطاع في هذه المنطقة من الألف الثالث حتى دخل في الألف الثاني قبل الميلاد، على الرغم من قلة المادة الأثرية وعدم التعرف عليها بصورة كافية، خاصة ما يتعلق بالنصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. وأما الفخار فقد اكتشف منه كميات قليلة شملت الملون وغير الملون.

وقد اكتُشف الفخار الملون من الألف الثاني قبل الميلاد في الجزء الشرقي والشمالي والشمالي الغربي والأوسط من المملكة. ويمتد زمنياً من الربع الأول من الألف الثاني حتى نهاية الألف نفسه.

ويظهر فخار الألف الثاني الملون بعجينة حمراء، وبنية، وبنية قاتمة، وبرتقالية، ورمادية. كما يظهر أنواعاً من العجينة نقّبت بصورة ممتازة. وقد يكون بعضه ممزوجاً بكسر حجر الكلس أو الحجر الجرانيتي، ويكون متوسط النقاوة وأحياناً خشنا. وقد تمثل الإنهاء الخارجي للأواني بعدة أساليب هي: الصقل والتسوية والبطانة. أما الصقل، فيظهر على أواني قليلة خاصة عندما تكون مدهونة بأكملها أو تحمل بطانة. أما التسوية فتظهر بشكل شائع، وهي غالباً ما تنفذ باستخدام العجلة وتقتصر على الجزء الخارجي للآنية، وإن كانت تظهر على الجزء الداخلي في حالات قليلة. ويشمل الدهان المستخدم في زخرفة الأواني اللون الأسود، والأحمر، والرمادي، والأصفر، والأخضر، والبرتقالي، والبني، والأبيض. ويمكن أن يظهر أكثر من لون على الإناء، كما أن الإناء يكون أحياناً مدهوناً بكامله بلون ومزخرف بعدة ألوان على اللون الأول. ويختلف استخدام الدهان على الآنية، فمنه ما يكون سميكاً ومنه ما يكون رفيعاً، وفيه المضاف بعد الحرق، والمضاف قبل الحرق.

إناء من فخار الألف الثاني قبل الميلاد

ويظهر الدهان على الإناء كله، ويتركز في بعض الأحيان على الوسط بداية من كتف الآنية. وقد استخدم الدهان في تشكيل نماذج زخرفية تحتوي على عناصر زخرفية متنوعة، منها الأشكال الهندسية، مثل الخطوط المتعرجة، وأنصاف المثلثات المعلقة، والدوائر الحلزونية. كما تظهر عناصر حيوانية تشمل الجمل والماعز، وربما الكلب. وتظهر أيضاً أشكال نباتية، مثل ورقة اللوتس، وتظهر المثلثات الرأسية، والعمودية، والمتقابلة الرؤوس، بالإضافة إلى الأشرطة الأفقية. وقد يكون

النموذج الزخرفي مشكلاً بأكثر من لون واحد.

ويشتمل هذا الفخار على أشكال متعددة للأواني، منها: الأواني الأسطوانية، والكمثرية، والطاسات العميقة ذوات الجوانب شبه المستقيمة، والجرار الصغيرة منتفخة البطن ذوات الرقاب الضيقة والطويلة. وتظهر أنواع من الصحون العميقة وغير العميقة ذوات الجوانب شبه المستقيمة أو المقوسة.

ونمط القاعدة الشائع هو النمط الدائري، وهو إما أن يكون مسطحاً أو بحافة قليلة الارتفاع، أو بحافة على شكل دائرة مرتفعة. كما تظهر القواعد المدببة، والقواعد ذات القوائم الثلاثية أو الرباعية.

وأما الفخار غير الملون فقد وجد أيضاً في أجزاء متفرقة من المملكة، إذ لا يخلو جزء منها من موقع رئيسي إلا وتمثل فيه فخار يعود لهذه المرحلة. ومن أهم المواقع التي وجد فيها في الجزء الشرقي موقع مقابر جنوب الظهران، وتاروت، والرفيعة، ومقابر بقيق. ووجد في الجزء الأوسط في موقع زبيدة. وفي الجزء الجنوبي الغربي في موقع سهي، وفي جزر فرسان، وفي الجزء الشمالي في عدد من الدوائر الحجرية، وفي الجزء الشمالي الغربي في موقع قريّة، وموقع تيماء.

ويظهر فخار هذا الألف غير الملون بعجينة فخارية تظهر بألوان مختلفة تشتمل على الأحمر، والبني، والبني الغامق، والرمادي، والأصفر الباهت، والبرتقالي، والوردي، والأبيض، والأصفر، والأسود. ويسود الفخار ذو العجينة السوداء في الجزء الجنوبي الغربي وسواحل البحر الأحمر، وينتشر الفخار الأحمر والبني في الوسط والشرق. وتظهر العجائن الوردية والزهرية في شمال وشمال غرب المملكة.

إناء من فخار الألف الثاني قبل الميلاد

وتختلف المادة المضافة لهذا الفخار من منطقة لأخرى، إذ يشيع استخدام القش، وأحياناً ذرات الرمال في جنوب غرب المملكة ووسطها، ولكن كسر الحجارة الجرانيتية تستخدم بكثرة في الشمال الغربي، والأصداف وكسر الحجارة الجيرية في الشرق.

ونجد في بعض الأماكن، خاصة في جنوب غرب المملكة ووسطها، أن صناعة هذا الفخار يدوية، أما في الشرق والشمال الغربي فأغلبه مصنوع بالدولاب السريع.

ويتخذ الإنهاء الخارجي عدة أساليب، منها الصقل المطبق غالباً على سَطْحي الإناء، واستخدام البطانة التي تمثل أسلوب الإنهاء الخارجي الشائع خلال هذه الفترة. ويختلف استخدام البطانة من منطقة إلى أخرى، ففي الجنوب الغربي والوسط لم يستخدم الفخار اليدوي من هذه الفترة بهذا الأسلوب، ولكن شاع استخدامه في الجزء الشرقي والشمالي الغربي حيث استخدمت البطانة على أسطح الأواني الداخلية والخارجية، وأحياناً اقتصر استخدامها على سطح واحد. وتختلف البطانة ذاتها، فمنها السميك ومنها رفيع السمك، كما أن منها جيد التركيب ورديء التركيب. وتظهر البطانة بألوان، منها الزهري والأحمر والأخضر والرمادي والبرتقالي. واستخدم القار في تبطين الأواني، خاصة في الأجزاء الجنوبية الغربية والوسط والشرقية.

واستخدم على فخار هذه الفترة أسلوب التغشية، وهو أقل جودة من البطانة، إذ يوضع الإناء في محلول صلصالي ليتشرب المحلول فيصبح غير مسامي نوعاً ما.

وتظهر على هذا الفخار نماذج من الزخرفة بعناصر متعددة نفذت باستخدام عدة طرق، منها، الحز، والقطع، والتنقيط، والإضافة، والتفريغ. وتتمثل العناصر الزخرفية الشائعة خلال هذه الفترة بالخطوط المتعرجة، والخطوط المتكسرة، والمثلثات المتكسرة، وسلاسل من النقط الغائرة أو الثقوب الصغيرة، والأشرطة الرأسية، والإطارات، والمناظر الطبيعية، مثل الجداول المائية، والأشكال الهندسية، مثل شريط العريف، ورسوم حيوانات، مثل الوعول، والأشرطة المضافة لتشكل حافة على جسم الإناء. وتظهر الزخرفة غالباً على جسم الآنية، ولكن وجدت أمثلة متعددة تبرهن على أن الزخارف قد تظهر

على القواعد والرقاب، وأي جزء آخر من الجسم. وقد تظهر العناصر الزخرفية بشكل محـزز غير عميق، وقد تكون عميـقة، وأحيانـاً غائرة، وفي بعـض الأحيان نافرة.

وظهرت خلال هـذه الفترة أشكال متـعددة للأوانـي، منها الأسـطواني، والكـمثـري، والدائـري، والطـاسات العميقة وغير العميقة، والصحون ذوات الجدران المقوسة أو شبه المستقيمة. وتظهر المصافي والسلطانيات بتنوع يشتمل على السـلطـانيات المـنبـعجة، والـصغـيرة المنخفضة، والسلطانيات المفتوحة الفوهة، والجرار الصغيرة المفتوحة الفم. والجرار الصغـيرة الضيـقة الرقبة، والأكـواب، والكـاسات، والأوانـي ذات الأشكـال الشبيهة بالسفينة المقعرة، والأواني المركبة من إناءيـن يربطهـما مقبـض. وتظهر الحواف المـثلثة والـعموديـة والمشطوفـة للداخل.

أما القـواعد السائدة فـهي الدائرية المسطحة أو المرتفعة أو التي على شكل حلقة بارزة، ووجـدت قواعد لها أربع أرجل، رباعية الأضلاع، وقواعد مقعرة، وقواعد ثلاثية الأرجل، وقواعد مدببة.

وعثر على مـقابض من هذه الفترة اشتملـت على: المقابض الأسطـوانية،

نماذج من الفخار المديني
موقع قُرَيّة

والمقـابض الأفقـية ربـاعية الأضـلاع، والأفاريز الأفقية التي تستخدم كمقابض، والمقابض التي تكون على شكل أذن.

**الفـخار في عصـر الممالـك العربيـة.** استمر الاستيطان في هذه المنطقة –المملكة العربية السعودية– من الجزيرة العربية من الألف الثاني قبل الميلاد إلى الألف الأول

كسر من الفخار المديني

الميلادي بلا انقطاع. ويعرف الألف الأول قبل الميلاد باسم فترة الممالك العربية، وهي فترة معرفة الكتابة وقيام ممالك في شتى أنحاء الجزيرة العربية.

وفخار هذه الفترة المكتشف في المملكة العربية السعودية يشتمل على ثلاث مجموعات، هي: الفخار الملون، والفخار غير الملون، والفخار المزجج. وكان إنتاج الفخار خلال هذه الفترة غزيراً، فقد وجد في مواقع مختلفة من المملكة أهمها: تيماء، ومدائن صالح، والخريبة، وقرية، والخضرمة، وحزم عقيلة، وعين جوان، وثاج، وتاروت، ومقابر جنوب الظهران، والأخدود، وعدد من المواقع على ساحل البحر الأحمر، وزبيدة، وقرية الفاو، والسيح في الأفلاج، وعدد من المواقع السطحية.

وكذلك عثر على الفخار الملون في عدد من المواقع، إلا أن الفخار المزخرف بالألوان جاء من مواقع محددة هي: العلا، وتيماء، وموقع لقطة (الطوير)، ودومة الجندل، وقلعة مويسن، والخضرمة، وحزم عقيلة، وقرية الفاو، ونجران، والسيح. ويظهر فخار هذه الفترة بعجينة متنوعة الألوان منها: الأصفر، الزهري، الرملي، البني، الأحمر، والرمادي. وتختلف العجينة في نقاوتها، فمنها الخشنة الممزوجة إما بالقش أو الحجارة الجرانيتية أو الكلسية، ومنها العجينة النقية جداً. كما وجدت أوانٍ

بجدران سميكة، وأخرى بجدران خفيفة السُمك.

ومعظم فخار هذه الفترة، إن لم يكن جميعه، صنع بالدولاب. والألوان المستخدمة خلال هذه الفترة هي الأسود، والرمادي الفاتح، والأحمر، والبني، والبني الغامق، والبنفسجي، والأصفر، والأخضر. وأكثر هذه الألوان شيوعاً هما الأحمر بدرجاته، واللون الأسود بدرجاته. وتختلف نوعية الدهان المستخدم، فمنه السميك ومنه الرفيع، كما أن منه ما هو مضاف قبل الحرق، ومنه ما هو مضاف بعد الحرق. وقد يكون الإناء مطلياً كله بلون واحد أو لونين، يغطي كل لونٍ منهما أحد وجهي الإناء، وقد يقتصر الدهان على أحد الوجهين. وقد يكون الدهان مستخدماً ليعكس عناصر زخرفية فقط. وفي هذه الحالة قد يكون الدهان مضافاً على طبقة دهان كاملة، أو طبقة بطانة، أو طبقة تغشية. وتظهر النماذج الزخرفية وعناصرها على السطح الخارجي للآنية في أغلب الأحوال، وقد تظهر على السطح الداخلي أو على الأجزاء العليا. وفي حالات قليلة تغطي كامل الآنية، خاصة سطحها الخارجي. وتتنوع العناصر الزخرفية المكونة لنماذج الزخرفة لتشمل، الخطوط المتعرجة، والأشرطة العريضة والرفيعة ذات الوضع الأفقي، والأشكال الحيوانية المجردة، وأوراق الأشجار، وشجر النخيل، والتنقيط العشوائي، والشبكات المتقاطعة المنتظمة وغير المنتظمة.

وأكثر أنماط أواني الفخار الملون تتمثل في الطاسات العميقة ذات الجوانب شبه المستقيمة والحواف العادية المسطحة التي تمثل امتداداً لجدار الآنية. كما يشيع شكل الطاسات العميقة ذات الجوانب المقوسة. وهناك الصحون غير العميقة ذوات الجوانب المنبعجة والحافات المثلثة.

وتظهر أغلب القواعد بأشكال دائرية مسطحة، ودائرية حلقية، ودائرية حلقية عالية. ويغلب في الحافات الشكل العادي، الذي يظهر بانسياب إلى الداخل أو الخارج أو إلى الاتجاهين.

ويتمثل الإنهاء الخارجي في عدة طرق أهمها التبطين. وتختلف البطانة، فمنها السميك ومنها الرفيع. وقد تظهر على السطح الخارجي أو الداخلي، أو السطحين معاً، ولكن أكثر ظهورها يكون على السطح الخارجي. وهي تظهر بعدة ألوان أكثرها شيوعاً اللون الأبيض والأصفر والأحمر.

إناء من فخار تيماء

وتظهر التغشية في هذا الفخار وتقتصر على السطح الخارجي، وهي في اللون الأصفر أو الأحمر غالباً.

كما استخدم الصقل في الإنهاء الخارجي، وهو يطبق عادة على البطانة بحيث يعطيها مظهراً لامعاً. كما استخدم أسلوب التسوية بحيث يعطي سطوح الآنية شكلاً متساوياً.

وهناك مجموعات كبيرة من الفخار غير الملون من هذه الفترة، وهي تتكون من مجموعات سطحية ضخمة جمعت من على سطوح المواقع خلال تنفيذ مراحل المسح الشامل لآثار المملكة العربية السعودية. وكذلك خلال نشاطات بعض الرحالة التي سبقت مراحل المسح الشامل، التي اقتصرت على بضع مواقع، هي: نجران، وعين جاوان، وثاج، وتاروت، وقرية الفاو، وتيماء، وقرية، ومدائن صالح، والخريبة في العلا.

وهناك مجموعات جاءت على إثر أعمال تنقيبية في بعض المواقع الأثرية، التي نقبت إما خلال مراحل المسح الشامل، أو خلال تنفيذ مواسم تنقيبية في بعض المواقع. وتشمل المواقع التي نقب في أجزاء منها: ثاج، وعين جاوان، وتاروت، ومقابر جنوب الظهران، والدفي، وحزم عقيلة، والخضرمة، وعين الضلعة، والسيح، والعيون، وقرية الفاو، ونجران، وجرش، والخريبة، ومدائن صالح، ودومة الجندل، وقلعة مويسن، والطوير.

ويشتمل فخار هذه الفترة على نوعين المحلي والمستورد، وكان الفخار المحلي بأنواعه أكثر وجوداً بطبيعة الحال. ويتمثل الفخار المستورد في الفخار الإغريقي القديم، والفخار الإغريقي المزجج، والفخار التراسجلاتا، والفخار الفارسي الأخميني، والبارثي، والنبطي، والروماني، والساساني.

ويتميز الفخار غير الملون من هذه الفترة، خاصة مجموعات النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، عن غيره من الفخار. وقد عثر على أكبر كمية من الفخار غير الملون من هذه الفترة في الإقليم الشمالي الغربي، والإقليم الأوسط، والإقليم الجنوبي الغربي.

نماذج من الفخار النبطي الرقيق

وقد جاء فخار هذه الفترة في الإقليم الشمالي الغربي من مواقع سطحية، ومن موقعي تيماء والخريبة في العلا. ويظهر في عجينة صلصالية يغلب عليها اللون الأحمر بتنوعاته، كما يظهر اللون الأبيض بتنوع بين الأبيض الناصع والأبيض المصفر. وتكون العجينة في أكثر الفخار ممزوجة بكسر الحصى الجرانيتي، خاصة عجينة الأواني الكبيرة والمتوسطة الحجم. وقد تكون العجينة ناعمة التركيب عندما تُصنع منها الأواني الصغيرة، وتخالطها كسر صغيرة من الحجر الكلسي.

وتظهر في هذه المجموعة أشكال متعددة للأواني تشتمل بشكل عام على الجرار المتوسطة الحجم وذوات الفوهات المفتوحة، وأحياناً يكون شكل الجرة كرويّاً بعنق طويل وضيق وفوهة شبيهة بفوهة القنينة الزجاجية. وتكثر الطاسات العميقة ذات الفوهات المفتوحة والجدران شبه المستقيمة. وهناك أيضاً الصحون العميقة وغير العميقة، التي قد تظهر بجدران منفرجة أو جدران متقوسة.

ويغلب في هذه المجموعة شكل الحافة العادية ذات الانسياب الخارجي أو الداخلي، أو الانسياب على الجانبين. ويأتي في المرتبة الثانية شكل الحافة المثلثة بتنوعاتها في هذه المجموعة. وتظهر بعض الأنواع الأخرى مثل الحافة المعطوفة للخارج بشدة، والحافة التي تكون على شكل حرف T اللاتيني.

أما الشكل الشائع للقاعدة فهو الشكل الدائري بتنوعاته، وأكثرها شيوعاً الشكل الحلقي العادي، كما يظهر شكل القاعدة المدبب الرأس. وقد صنع معظم هذا الفخار بالدولاب الفخاري السريع، ومنه ما صنع باليد المجردة.

واستخدمت طرق عدة في الإنهاء الخارجي، منها: البطانة، والتغشية، والصقل، والتنعيم. وأما البطانة فهي

غير متقنة التركيب غالباً حيث تخالطها شوائب متمثلة بكسر الحصى المتنوع. وتظهر البطانة على السطح الخارجي والسطح الداخلي، وأحياناً على السطحين معاً. ويظهر اللون الأصفر بكثرة على البطانة المستخدمة، كما يظهر اللون البني بشكل ملحوظ، وكذلك اللون الأحمر بتنوعاته، ويظهر اللون الرمادي بشكل أقل. وتكون البطانة مضافة للآنية قبل الحرق. أما التغشية فتظهر على أوانٍ أقل مما ذكر أعلاه، وتكون في الغالب على السطح الخارجي، وأغلب الألوان المستخدمة فيها هي الأخضر الفاتح أو الأصفر. كما استخدم الصقل على السطوح الخارجية للأواني في أكثر الأحوال ليعطيها مظهراً جمالياً ويكسبها مناعة ضد تسرب السوائل. وقد يصقل سطح الآنية، أو تصقل البطانة أو الدهان.

وجاء فخار هذه الفترة في الإقليم الأوسط من موقع الخضرمة وموقع حزم عقيلة.

وهناك كمية عثر عليها في عدد من المواقع السطحية في الإقليم الجنوبي الغربي، وفي جزر فرسان، وموقع الأخدود في نجران. ويظهر فخار هذه المنطقة بعجينة خشنة تخالطها بقايا مواد عضوية مثل القش.

واستخدمت عدة طرق لتنفيذ النماذج والعناصر الزخرفية في فخار هذه الفترة،

نماذج من فخار ثاج بالمنطقة الشرقية، تعود إلى العصر الهلينستي

وهي تشتمل على طريقة الحز، والتمشيط، والقطع، والتثقيب، والإضافة، والتطعيم، والتصبيغ.

وهناك نماذج وعناصر زخرفية عديدة نفذت باستخدام طريقة الحز تعتمد على الخطوط المتعرجة الآحادية والعديدة، والخطوط المتكسرة، وتظهر غالباً بشكل آحادي، والحزوز المتكررة، وأنصاف الدوائر، والدوائر، والنقط التي على شكل أهلة، والمثلثات المتوالية.

وطريقة التمشيط شبيهة بطريقة الحز من ناحية النماذج والعناصر الزخرفية، وهي تشتمل على الخطوط المتعرجة التي تظهر بأشكال جماعية، والسلاسل المتقاطعة، ومجموعات من الخطوط المنفردة التي تظهر عادة بوضع عمودي.

وطريقة القطع تعني قطع عجينة من جسم الآنية لتشكيل عناصر زخرفية. وينفذ غالباً باستخدام هذه الطريقة عناصر المثلثات المتوالية عمودياً أو المتقابلة، والنقط الدائرية التي تظهر على الحافات المضافة في أغلب الأحوال بوضع أفقي.

واستخدمت طريقة التثقيب لخلق مجموعات من النقط الغائرة التي تنتشر على جسم الإناء بشكل مجموعات قد تكون منظمة وقد تكون بشكل عشوائي. كما استخدمت هذه الطريقة في عمل نماذج زخرفية تحتوي على ثعابين متصارعة. والتثقيب هو استخدام رأس مسمار لإحداث نقط غائرة لا ثقوب نافذة في جسم الإناء. كما قد تظهر هذه النقط بشكل خطوط عمودية أو أفقية.

أما طريقة الإضافة، فتعني إضافة حواف إلى جسم الإناء قد تظهر بشكل عمودي أو رأسي. وتزخرف هذه الحواف عادة باستخدام إحدى الطرق الأخرى، علماً بأنّ أكثر الطرق شيوعاً في زخرفة الحواف هي طريقة التصبيغ، وتأتي في المرتبة الثانية طريقة القطع. وتجدر الإشارة إلى أن الحواف قد تكون مضافة باستخدام عجينة صلصالية جديدة، وقد تكون معمولة من العجينة الأصلية للآنية.

وتستخدم طريقة التطعيم في زخرفة عناصر زخرفية قد نفذت باستخدام طريقة أخرى. وتكون هذه العناصر حاوية لعناصر زخرفية مجوفة تملأ بمادة جمالية، ويغلب عليها اللون الأبيض في فخار المملكة العربية السعودية.

ويعود أقدم دليل على وجود الفخار المزجج في الجزيرة العربية إلى ما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد كما تشير أعمال فان بيك Van Beek وكاتون تمبسون Caton Thompson في اليمن، وأبحاث كرتس لرسن Curtis Larsen في

فخار من موقع قَرْيَة (الفاو)

البحرين، والبعثة الفرنسية في فيلكة في الكويت. وقد وجد أقدم إناء مزجج بتاريخ شبه مؤكد من القرن الثالث قبل الميلاد في اليمن، كما تشير أبحاث البعثة الروسية هناك. ومع ذلك فإن معظم مجموعات الفخار المزجج المنشورة جاءت من مواقع لفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرون الميلادية السابقة لظهور الإسلام.

وفي المملكة اكتشف الفخار المزجج في عدد من المواقع تشمل عين جاوان، وثاج، وتاروت، ومقابر جنوب الظهران، والخضرمة، وحزم عقيلة، وزبيدة، وقريّة، وتيماء، والخريبة، ومدائن صالح، ودومة الجندل، وقلعة مويسن، ولقطة (الطوير)، وقرية الفاو، والأخدود في نجران. وعدد كبير من المواقع السطحية.

ويظهر أغلب الفخار المكتشف بعجينة صفراء مسامية التركيب وغير نقية وذات صلابة متوسطة. وقد تكون العجينة في بعض الفخار نقية جداً، وباللون الأصفر، وشديدة التماسك، وعالية الصلابة.

ويكون التزجيج بألوان، منها: الرمادي والأصفر والأزرق والأخضر الفاتح والأخضر. وتتفاوت طبقة التزجيج في سمكها وإتقانها من إناء إلى آخر، تكون سميكة أو غير متماسكة، لكنها لامعة. وقد تكون رقيقة في سمكها وباهتة المظهر، لكنها جيدة التماسك.

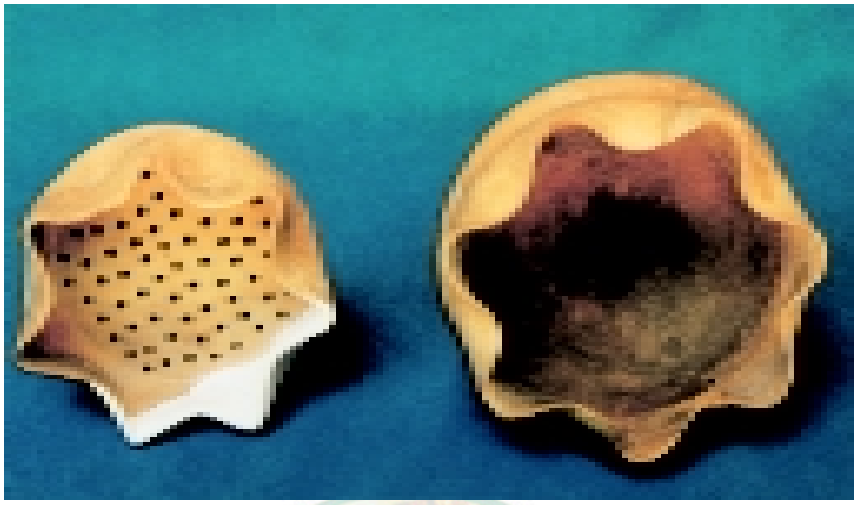

فخار من موقع قرية (الفاو)

وتشتمل أشكال الأواني على الصحون غير العميقة التي لها جوانب منفرجة للخارج، وحواف مثلثة، والطاسات العميقة ذوات الجدران شبه المستقيمة والحواف العادية أو المفتولة، والجرار ذوات الشكل البرميلي الذي يكون مضلعاً عمودياً في بعض الأحيان، والجرار الكروية الشكل ذوات الحواف المعطوفة للخارج، والقنينات الصغيرة التي تظهر بشكل كروي أو أسطواني بحواف معطوفة للخارج.

ويعد التزجيج طريقة الإنهاء الخارجي الوحيدة التي استخدمت في مجموعة الفخار المزجج.

ويقل ظهور الزخرفة في هذه المجموعة لأن التزجيج يعطي مظهراً زخرفياً إلى جانب أنه عنصر عملي في الأساس. وأمّا الطرق التي استخدمت في زخرفة الفخار المزجج فمنها الحزّ والقطع. وتتمثل العناصر الزخرفية بمجموعة من الحزوز التي تظهر على رقاب الأواني بشكل دائري، وقد تظهر على بطن الآنية. ووجدت بعض الكسر التي تحمل مثلثات مقطوعة في جدران البدن. وجميع العناصر الزخرفية تظهر تحت طبقة التزجيج.

## الفخار والخزف الإسلامي

لم يحظ الفخار والخزف الإسلامي في المملكة حتى الآن بدراسة مستقلة تغطي جميع مناطق المملكة وتوضح أنماطه وأشكاله المتوافرة وعصوره المختلفة. ويمكن القول، في ضوء

المعلومات المتوافرة، إن فخّار العصور الإسلامية المبكرة، يمثل أكثر أنواع الفخار الإسلامي وجوداً في المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة. ونقصد بالعصور الإسلامية المبكرة العصر الأموي والعصرين العباسي والفاطمي. أما العصور الإسلامية التي تلت ذلك، كالعصرين الأيوبي والمملوكي، فأنواع الفخار التي يمكن نسبتها إليها قليلة، في حين تتوافر حول القلاع العثمانية المنتشرة في مناطق متعددة من المملكة مجموعة من الفخار والخزف العثماني. كما توجد بالمملكة أنواع متعددة من الفخار المحلي الصناعة يعود تاريخها إلى مختلف العصور الإسلامية، إلا أنها لم تحظ حتى الآن بدراسات تمكننا من التعرف عليها بسهولة وتحديد تواريخها بدقة.

**الفخار في العصور الإسلامية المبكرة.**

يشمل فخار العصور الإسلامية المبكرة المتوافر بالمواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة الفخار غير المزجج، والفخار المطلي بطبقة من الطلاء الزجاجي.

ويمكن تقسيم فخار الفترة الإسلامية المبكرة غير المزجج الموجود بالمملكة إلى قسمين رئيسيين تبعاً للفترة التاريخية التي يؤرخ بها، هما فخار العصر الأموي، وفخار العصر العباسي المبكر.

فخار العصر الأموي: كشفت أعمال المسح والتنقيب التي تمت في مناطق المملكة المختلفة، بخاصة الغربية والشمالية الغربية، عن وجود أنماط متعددة من الفخار الإسلامي المبكر يمكن نسبتها إلى العصر الأموي. وقد عثر عليها في شكل كسر متناثرة على سطوح المواقع الأثرية، أو في الطبقات السفلية للمواقع التي حُفر فيها. ومن المواقع التي عثر فيها على كسر فخارية أموية: موقع الملقطة بالبدع، والحوراء بأملج، والجار الواقع جنوب ينبع، والأخضر الواقع جنوب تبوك، وبدا الواقع شرق الوجه، وأبا الحلو الواقع بين العلا والمدينة، ومواقع القصور الإسلامية المبكرة بمنطقة المليليح الواقعة على بعد ٥٠كم شمال المدينة، ومواقع القصور الإسلامية بوادي العقيق بالمدينة المنورة، وفي موقع الربذة الذي أمدنا بآنية شبه كاملة من بعض أنماط الفخار الأموي. كما عثر في مواقع أثرية بمنطقة القصيم على كسر فخارية يمكن نسبتها إلى العصر الأموي، وكذلك في المواقع الإسلامية بوادي حنيفة، وفي منطقة الخرج.

وأنماط الفخار الأموي التي وجدت بالمملكة تماثل الأنماط التي وجدت في القصور الأموية ببادية الشام، كقصر الحلابات وقصر القسطل، وتلك التي

وجدت في حفرية بيلا وطبقة فحل بالأردن، وحفرية تل حسبان. وأهم أنماط الفخار الأموي الموجود بالمملكة ما يلي:

الفخار المزخرف بالمغرا، ويصنع من طينة نقية جيدة التحضير، ويحرق حرقاً جيداً ويزين بزخارف ترسم بمادة المغرا على الأسطح الخارجية للأواني. وقد عثر بالمملكة على كسر من هذا الفخار، ولم يعثر على آنية كاملة، وتظهر على هذه الكسر زخارف منفذة بمادة المغرا ذات لون بني غامق أو أحمر قان، قوامها خطوط طولية أو منحنية أو لولبية، أو عناصر نباتية مكونة من فروع متداخلة، وأوراق بسيطة، أو أنصاف مراوح نخيلية. ويغلب على الأواني المصنوعة من هذا النوع من الفخار اللون البرتقالي واللون البني الذي يميل إلى الاصفرار. أما أشكال الأواني فشملت الدوارق والجرار والطاسات بأحجام مختلفة.

والفخار ذو اللون البرتقالي المضلع، الذي يمتاز بلونه وبالتضليع الذي يوجد في الأجزاء العليا للأواني، ويصنع من عجينة نقية، ويحرق حرقاً جيداً. وتعد الجرار بأحجامها المختلفة أكثر أشكال الأواني التي تصنع منه. وهناك نوع آخر هو الفخار الأصفر المضلع وهو يماثل الفخار البرتقالي المضلع من حيث نقاوة العجينة الطينية وجودة الحرق. وتمتاز الأواني المصنوعة منه بقشرة صفراء تغطي الجسم الخارجي للإناء. وتصنع من هذا النوع من الفخار جميع أشكال الأواني.

والفخار المزخرف بالحز، ويصنع من عجينة متوسطة النقاوة، ويمتاز بوجود زخارف منفذة بالحز على السطوح

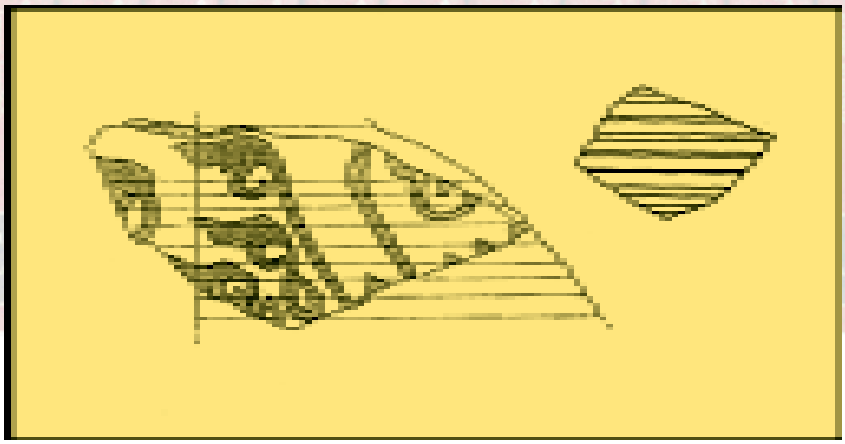

نماذج من كسر الفخار الأموي الذي وجد بالمملكة

الخارجية للأواني، قوامها خطوط مستقيمة أو متموجة أو متقاطعة تزين رقبة الإناء والجزء العلوي من البدن. وزخارف هذا النمط من الفخار الأموي عميقة الحزوز وغير منتظمة وأقل جودة وإتقاناً من مثيلاتها التي نفذت على الفخار العباسي.

وفخار الطبخ، وهو الذي كانت تُصنع منه قدور تستخدم للطبخ، تعرف باسم البُرَم، وهو ذو بدن بيضي واسع من أسفل وفوهة ضيقة. وتمتاز القدور المصنوعة من هذا الفخار بقلة سماكتها، ووجود التضليع في أبدانها، ولون أسود على سطوحها الخارجية لكثرة الاستعمال على النار. وقد عثر على آنية كاملة من فخار الطبخ الأموي في حفرية الربذة، في طبقات يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الهجري.

كذلك عثر على مجموعة من المسارج المصنوعة بالقالب، وهي مسارج صغيرة الحجم، بيضية الشكل، لها ممسك في طرفها الخلفي، وفتحة في وسطها، لملئها بالزيت، وأخرى في طرفها الأمامي تخرج منها فتيلة الإنارة. وتصنع هذه المسارج بالقالب، وتمتاز بوجود زخارف بارزة على سطحها العلوي منفذة بالقالب، قوامها عبارات

نماذج من كسر الفخار العباسي غير المزجج الذي عثر عليه في المملكة

دعائية مكتوبة بالخط الكوفي، أو زخارف هندسية، أو زخارف نباتية مكونة من فروع متشابكة وعناقيد وأوراق عنب تحمل روح الفن الهلينستي. وتشبه هذه المسارج من حيث الشكل مسارج العصر البيزنطي، وقد عثر بالمملكة على كسر قليلة من نوعها.

فخار العصر العباسي: يعد الفخار العباسي غير المزجج أكثر أنواع الفخار الإسلامي المبكر توافراً في المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة، وتوجد منه أنماط متعددة، بعضها محلي الصناعة، وبعضها الآخر مستورد من الخارج.

وتتوافر الأنماط المصنوعة محلياً بكثرة في المواقع الأثرية الإسلامية بمنطقة الأحساء، وفي مواقع السرين وعشم وعُثَّر الواقعة في جنوب غرب المملكة. كما عثر على أوان عباسية مصنوعة باليد يعتقد أنها محلية الصناعة بمنطقة تبوك في موقعي البدع وبدا.

ويوجد شبه كبير بين تلك الأواني المحلية التي يرجع تاريخها إلى العصر العباسي، والفخار التقليدي الذي يصنع في الوقت الحاضر في بعض مناطق المملكة. نرى هذا الشبه في نوع الطينة المستخدمة، والأشكال المصنوعة، واللون الذي تكتسبه الأسطح الخارجية للأواني بعد عملية الحرق. وقد نال الفخار المحلي المصنوع في المنطقة الشرقية بعض الدراسة في الأعمال التي قام بها ويتكومب، وعبدالله الدوسري، وفهد الحسين، غير أنه ما يزال في حاجة إلى مزيد من البحث حتى نصل إلى مرحلة التصنيف الجيد لأنماطه. أما الفخار المحلي في المواقع الإسلامية بجنوب غرب المملكة، فلم يحظ بأي دراسة حتى الآن.

وأما الفخار الإسلامي غير المزجج المستورد من الخارج، ويعود تاريخه إلى الفترة الممتدة من القرن الثاني الهجري إلى القرن السادس فأهم أنماطه المتوافرة بمواقع المملكة ما يلي:

الفخار الرقيق ويصنع من عجينة طينية نقية تكتسب بعد الحرق لوناً أبيض يميل إلى الاصفرار، أو لوناً بنياً فاتحاً. وتمتاز الأواني المصنوعة من هذا النوع من الفخار برقتها، إذ يبلغ سمك بعضها ٣مم، كما تمتاز بقلة صلابتها لأنها تحرق على درجة حرارة متوسطة. وتصنع من الفخار الرقيق دوارق المياه على نطاق واسع، وقد عثر على نماذج كاملة ومتنوعة منها في حفريات سوسة ونيسابور وسيراف، يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجريين، كما توجد مجموعة

منها في متحف دمشق. وتحمل الأواني المصنوعة من الفخار الرقيق زخارف جميلة منفذة بالحز والوخز والطبع والإضافة، كما تمتاز الدوارق المصنوعة من هذا الفخار بتعدد مقابضها، وبأبدانها الكروية والبيضية والكمثرية. وتوجد كسر الفخار الرقيق بكثرة في المواقع الأثرية الإسلامية في جميع أنحاء المملكة وقد عثر في حفرية الربذة على أوانٍ كاملة في طبقات يرجع تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة وبداية القرن الرابع.

والنوع الثاني هو الفخار الأصفر الصلب، وهو فخار ذو عجينة طينية صفراء نقية جداً، من نوع العجينة الطينية المستخدمة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني. وتصنع من هذا الفخار جرار ومزهريات وطاسات وأوانٍ صغيرة تزخرف بالحز وبالقطع وبالطبع. وتمتاز هذه الأواني بصلابتها بعد الحرق وبدقة صناعتها. وينسب تاريخ هذا النوع من الفخار إلى القرن الثالث الهجري وما بعده. وقد عثر على كسر منه في حفرية الربذة وأخرى التقطت من مواقع الآثار الإسلامية بشمال غرب المملكة.

والنوع الثالث هو الفخار العباسي المزخرف بالحز، ويعود تاريخه إلى الفترة العباسية، ويمتاز بتعدد ألوانه، وتفاوت سماكته، وكثرة أنماطه، وتباين أنواع العجينة الطينية المستخدمة في صناعته. فمن حيث ألوانه نجد منه الأصفر والبني والبرتقالي والرمادي، والمائل إلى اللون الأخضر، والمائل إلى اللون الأحمر. ومن حيث السماكة نجد منه الرقيق، ومتوسط السماكة، والسميك جداً. ومن حيث نوع العجينة الطينية يلاحظ فيه استخدام عجينة قليلة الشوائب وأخرى كثيرة الشوائب، كما استخدمت في صناعته عجينة طينية مخلوطة مع نسبة من الجص.

إناء من الفخار العباسي غير المزجج

وشملت الأواني المصنوعة من هذا الفخار الأزيار والجرار الكبيرة والصغيرة والمزهريات والقدور والطاسات والأقداح والمعاجن والمحالب. وتمتاز هذه الأواني بالصلابة الناتجة عن الحرق الجيد وعن الخصائص القوية للطينة المستخدمة. وتزين الزخارف المنفذة بالحز رقاب هذه الأواني، والأجزاء العليا من أبدانها. وهي زخارف دقيقة قوامها خطوط طولية أو عرضية، مستقيمة أو متموجة أو متقاطعة، وأوراق وفروع نباتية، وأشكال مثلثات ومربعات ودوائر، وأشكال نجمية. وبالإضافة إلى العناصر المنفذة بالحز تنفذ على هذه الأواني عناصر أخرى بالوخز والطبع والقطع والإضافة، وتشكّل مع العناصر المحزوزة موضوعات زخرفية معقدة وجميلة. ويوجد الفخار العباسي المزخرف بالحز بكثرة على

إناءان من الفخار العباسي غير المزجج

سطوح المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة، وقد جمعت فرق المسح التي زارت هذه المواقع كميات كبيرة من كسره، كما عثر أثناء الحفر في مواقع المابيات وعثّر والربذة على أوانٍ كاملة منه.

والنوع الرابع، هو فخار القلل، وتوجد كسر منه على سطوح بعض المواقع الأثرية الإسلامية في المملكة، مثل مواقع مدين والحوراء وبدا والمابيات الواقعة في شمال المملكة، ومواقع المستوطنات التعدينية الواقعة في وسط المملكة وشمالها الغربي وجنوبها الغربي. ويعزى وجود كسر القلل في المواقع التعدينية بكثرة إلى استخدامها في عملية استخلاص المعادن. وتمتاز كسر القلل الموجودة في تلك المواقع بسطوحها الخارجية الملساء، وألوانها المتعددة التي تشمل الأصفر والأحمر والبني والأخضر.

والنوع الخامس، هو الفخار المطلي بطبقة من الطلاء الزجاجي، وقد عثر في المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة على أنواع متعددة منه ومن الخزف الإسلامي المبكر؛ معظمها مستورد من الولايات الإسلامية القريبة من الجزيرة العربية كالعراق وإيران ومصر والشام. ويعود تاريخ هذه الأواني التي توجد في شكل أوانٍ كاملة أو كسر إلى العصرين العباسي والفاطمي على وجه

العموم. كما توجد بالمواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة كسر من السيلادون الصيني الذي كان يستورد من الصين خلال العصرين العباسي والفاطمي.

**الفخار المزجج والخزف الإسلامي المبكر.** عثر في مواقع الآثار الإسلامية بالمملكة على أنواع من الفخار المزجج والخزف الإسلامي المبكر في عدة مواقع. ومن أشهر أنواعه:

الفخار المزجج ذو الطلاء القلوي، وهو نوع من الفخار المزجج عرفت صناعته في العصور القديمة واستمر إنتاجه في البلاد التي فتحها المسلمون، خاصة في بلاد العراق وإيران. وأنتجت منه خلال الفترة الإسلامية المبكرة جرار كبيرة وصغيرة، وأوانٍ متنوعة للمائدة وللزينة ولحفظ السوائل. وقد استخدمت الجرار المصنوعة من هذا النوع في عهد الرسول ﷺ، وعرفت باسم أواني الحنتم.

وتستخدم في صناعة الفخار ذي الطلاء القلوي عجينة طينية صفراء متوسطة النقاوة، تغطى بطبقة من الطلاء القلوي المخلوط مع أكسيد النحاس مما يجعل الأواني تكتسب لوناً أزرق غامقاً أو أزرق يميل إلى الاخضرار. وتزين الجرار المصنوعة من هذا النوع بزخارف هندسية ونباتية منفذة بالحز، أو بطريقة الباربوتين التي يستخدم فيها قمع يفرز حبالاً طينية تثبت على الجزء العلوي من بدن الإناء وتشكل موضوعات زخرفية متنوعة.

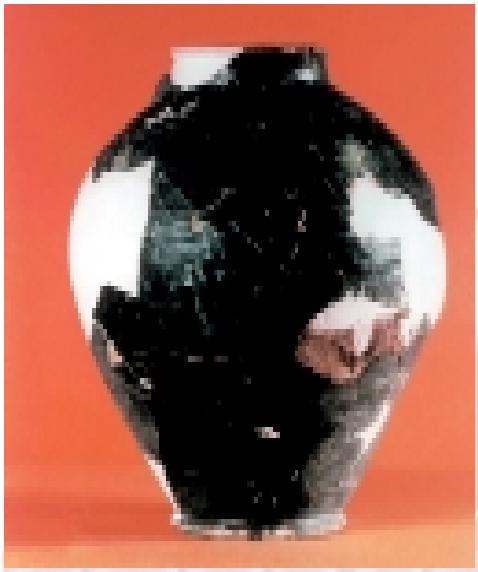

جرّة من نوع الفخار المزجج بالطلاء القلوي
موقع النقرة

وتوجد كسر الفخار المزجج ذي الطلاء القلوي في معظم المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة، وقد أمدتنا حفرية الربذة بأوانٍ كاملة كبيرة وصغيرة من نوعه. كما عثر على نماذج كاملة منه في المنطقة الشرقية من المملكة معروضة في متحف الآثار بالرياض. كذلك عثر على كسر منه في حفرية المابيات وحفرية عَثَّر، وفي مواقع درب زبيدة، ومواقع طريق

الحج الشامي والمصري وموانئ البحر الأحمر. وأواني هذا النوع من الفخار تؤرخ بالفترة الممتدة من القرن الثاني الهجري إلى القرن السادس.

والنوع الثاني، هو الفخار ذو اللون الواحد المطلي بطلاء الرصاص، وهو نوع من الفخار تصنع منه القدور والطاسات بمختلف الأحجام، كما تصنع منه المسارج والجرار. وتغطى الأواني المصنوعة من هذا الفخار بطبقة من طلاء الرصاص لها لون واحد، واللون الأخضر والأصفر والبني والعسلي أكثر الألوان استخداماً في طلاءات هذا الفخار. وتوجد كسر هذا النوع بمواقع أثرية إسلامية كثيرة في المملكة، فقد عثر في حفرية الربذة على أوانٍ كاملة منه يرجع تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع للهجرة. كما عثر على كسر من نوعه في موقع المابيات وفي موقع عَثَّر، وفي معظم محطات طرق الحج التي ترجع إلى الفترة العباسية والفاطمية. وبعض أنواع هذا الفخار قد تكون صنعت محلياً في تلك الفترة، فالأواني المطلية بطلاء الرصاص ما تزال تصنع في جنوب غرب المملكة حتى الوقت الحاضر، كما أنها كانت تصنع إلى وقت قريب في الحجاز وفي إقليم الأحساء.

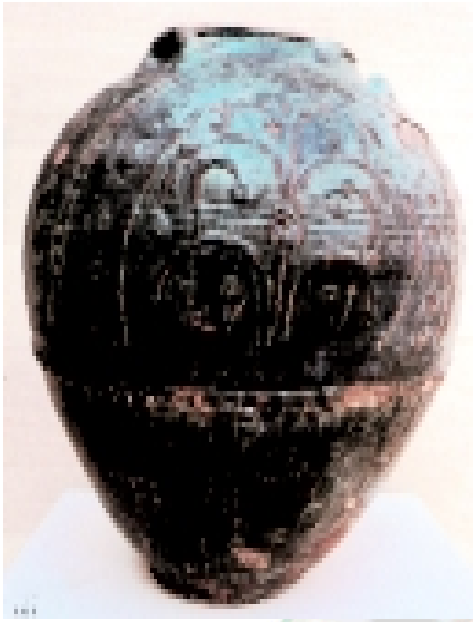

جرّة من الخزف ذات طلاء أخضر – موقع الربذة

والنوع الثالث هو الفخار المزجج ذو الزخارف المنفذة بواسطة القالب، وهو نوع من الفخار المزجج يصنع بالقالب. وتستخدم في صناعته عجينة حمراء نقية تغطى بطبقة من طلاء الرصاص الملون باللون الأخضر أو الأصفر أو البرتقالي أو البني أو البنفسجي. وتصنع من هذا النوع من الفخار صحون وطاسات ومزهريات ومسارج. وتمتاز الأواني المصنوعة منه بوجود زخارف بارزة على سطوحها الداخلية والخارجية تتكون من عناصر هندسية متداخلة وحبيبات ودوائر بارزة ومتكررة، وأشكال وريدات كبيرة وصغيرة. كما تستخدم في زخرفة هذا

الفخار رسوم الحيوانات والطيور. ويمكن تمييز مجموعتين في منتجات هذا الفخار: مجموعة عراقية تستخدم فيها الزخارف الهندسية والكتابية والنباتية على نطاق واسع، ومجموعة مصرية يكثر فيها استخدام رسوم الحيوانات والطيور. ويرجع تاريخ الأواني المصنوعة من هذا النوع من الفخار إلى القرنين الثالث والرابع للهجرة، وقد عثر على كسر منها في مواقع متعددة بالمملكة تمثل المجموعتين كلتيهما. فقد عثر في حفرية الربذة وفي مواقع على درب زبيدة وفي المنطقة الشرقية والمنطقة الوسطى على كسر متنوعة من إنتاج بلاد ما بين النهرين، عليها زخارف كتابية ونباتية وهندسية. أما الكسر التي تمثل ما صنع في مصر من هذا الفخار فقد عُثر عليها في شمال غرب المملكة على طريقي الحج الشامي والمصري.

والنوع الرابع هو الفخار المزجج ذو الزخارف المخططة والمبقعة. ويصنع هذا النوع من الفخار من عجينة نقية حمراء أو بنية أو صفراء اللون، ويغطى بطبقة بطانة يميل لونها إلى اللون الأبيض تعلوها طبقة من طلاء الرصاص الشفاف. ويرسم على البطانة زخارف مخططة ومبقعة متعددة الألوان تستخدم فيها أكاسيد معدنية متنوعة، أهمها أكسيد النحاس الذي يعطي اللون الأخضر، وأكسيد الحديد الذي يعطي اللون الأصفر، وأكسيد المنجنيز الذي يعطي اللون البني أو الأسود. وتسيح هذه الأكاسيد وتختلط مع طبقة طلاء الرصاص الشفافة أثناء عملية الحرق، مما يجعل الإناء يأخذ بعد تمام حرقه ألواناً متعددة ومتداخلة تضفي جمالاً مميزاً على شكله. وقد يستغنى عن استخدام طبقة

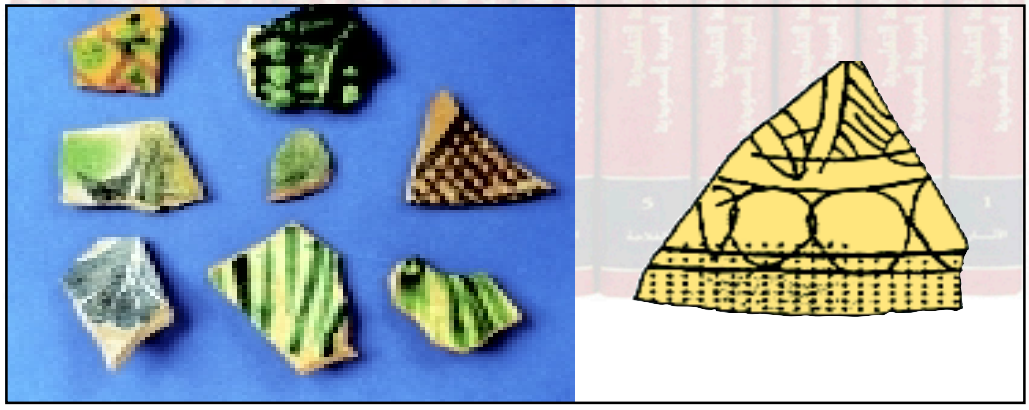

كسر من الفخار العباسي المزجج

البطانة ويغطى الإناء مباشرةً بالطلاءات المتعـددة الألوان، فيظهر لـون العجينة تحتها، وهو فـي هذه الحالة يصبح أقل جمـالاً من النـوع الذي تستـخدم فيـه البطانة.

وفي بعض الأواني المصنوعة من هذا النوع تضاف إلى الزخرفة المتعددة الألوان عناصر هندسية ونباتية محورة، تنفذ بالحز تحت طبقة الطلاء. ويـعرف هذا النمط من الأواني باسم سقرافيتو sgraffito ware وهي تـؤرخ بالقـرنين الثـالث والرابـع للهجرة.

كمـا يوجد نمـط آخر مـن الفخـار المخطط والمبقع أطلق عليه بعض الباحثين اسم الفيّومي نسبة إلى مدينة الفيّوم بمصر التي عـثر فيها علـى نماذج كثيرة مـنه. ويعترض بعض الباحثين على هذه التسمية لأن هذا النمط من الفخار المزجج وجد بكثرة فـي الفسطاط ومواقع أخـرى في الديـار المصريـة. وقد اشتـهرت مصـر بصناعـة الفخار الفيومي خـلال العصر الفـاطمي، وأُنتـجت منه أوانٍ مـتعددة الأشكـال والوظائف. ويـتميّز الـفخار الفيومي باستخدام طبقة من طلاء القصدير تكسب الإناء خلفية بيضاء اللون، ترسم عليهـا خطوط متداخلة وأوراق بـسيطة وعبارات مكتوبة بأكاسيد متعددة الألوان.

وتوجد كسر الفخار المخطط والمبقع بجميع أنماطه على سطوح المواقع الأثرية الإسلامية المنتشـرة في مناطق المملكة. وقد أمدتنا حفرية الربذة بأوانٍ شبه كاملة من نوع الفخار المخطط المبقع، والمخطط المحزوز تحت الطلاء. وكذلك عثر على كسر من هذين النمطين في مواقع درب زبيدة، وفي حفـرية المابيات، كما عثر على كـسر كثيـرة من الفخـار المخطط الفيومي في مواقع مدين والحوراء والجار الواقعة على درب الحج المصري. ويوجد في المواقع الأثرية الإسلامية بشمال غرب المملكة نوع من الفخار المخطط قد يكون محلـي الصناعـة، وهو يمتاز بزخـارف هندسية بسيطـة مرسومة باللون الأسود قوامها خطوط متوازية، ودوائر متداخلة، ومثلثات متكررة مملوءة بشبكة من الخطوط المتقاطعـة، وتضاف إلى هذه الزخارف بقع باللونين الأخضر والبني. وربما يكون هذا النوع من الفخار المزجج من صناعة الإقليم الـغربي للمملـكة خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري، حيـث يلاحظ وجوده بكثرة في مـواقع الجـار والحوراء والـعويـند ومدين، كما عثر عـلى كسر منه وأوانٍ كاملة في حفرية الربذة وفي حفرية العقبة في الأردن.

والنوع الخامس هو الخزف الأبيض tin - glazed ware وتستخدم في صناعته عجينة طينية صفراء نقية، تشكل منها أشكال متعددة وأحجام متنوعة من الطاسات والصحون والدوارق والمزهريات والجرار. وتغطى هذه الأواني بطبقة من طلاء القصدير، تكسبها بعد الحرق لوناً أبيض عاجياً يحجب لون العجينة الفخارية. وطلاء القصدير يتكون من إضافة مادة القصدير إلى التركيبة المعتادة للطلاء الزجاجي الشفاف. ويوجد الخزف الأبيض بكثرة على سطوح المواقع الأثرية الإسلامية المنتشرة في جميع مناطق المملكة من دون استثناء، وقد نشرت كسر منه في حولية أطلال ضمن تقارير المسح الأثري الذي نفذته إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، وضمن الأبحاث التي نشرها سعد الراشد عن درب زبيدة وحفرية الربذة. كما نشر علي غبان عن كسر من نوعه التقطها من محطات طريقي الحج الشامي والمصري.

والنوع السادس هو الخزف ذو الزخارف المرسومة بأزرق الكوبالت وهو أوانٍ من نوع الخزف الأبيض المطلي بطلاء القصدير مضافة إليها زخارف مرسومة بمادة الكوبالت. وترسم هذه الزخارف فوق طبقة الطلاء القصديري قبل الحرق. وتصنع من هذا النوع من الخزف الصحون الكبيرة والصغيرة والطاسات والدوارق والزهريات، وأنواع متعددة من أواني المائدة وأواني الزينة، وهو يعد من الأنواع الفاخرة للخزف الإسلامي. أما الزخارف التي تنفذ بمادة الكوبالت فتشتمل على أشكال نجمية ودوائر مفصصة، ووريدات كبيرة وصغيرة، وفروع نباتية، وأوراق لوزية ورمحية، ومراوح نخيلية كاملة أو أنصافا، وجمل مكتوبة بالخط الكوفي تحوي عبارات دعائية أو توقيعات صناع. وتوجد كسر هذا النوع من الخزف في معظم المواقع الأثرية الإسلامية بالمملكة، فقد عثر عليها في مواقع درب زبيدة، وطريقي الحج الشامي والمصري، وفي مواقع الآثار الإسلامية في المنطقة الشرقية، وفي وسط المملكة، وفي الموانئ الواقعة في منطقتي القنفذة وجازان كالسِّرِّيْن وعَثَّر، وفي مواقع المستوطنات التعدينية بجبال السروات، وفي حفرية الربذة التي أمدتنا بنماذج شبه كاملة لأوان من نوع هذا الخزف، كما توجد أمثلة منه في متحف إدارة الآثار والمتاحف بالرياض، وفي متحف الدمام.

والنوع السابع هو الخزف الأبيض ذو الزخارف المرسومة باللون الأسود، وهو يماثل الخزف ذا الزخارف المرسومة بأزرق الكوبالت، من حيث أشكال الأواني وطريقة الصناعة، ولكنه يختلف عنه في لون الزخارف المرسومة عليه، حيث ترسم الزخارف عليه باللون الأسود الناتج عن استخدام أكسيد المنجنيز أو حجر الكحل بدلاً من مادة الكوبالت. وتمثل الكلمات المكتوبة بالخط الكوفي وتوقيعات الصناع، والعبارات الدعائية مثل «بركة لصاحبه» أبرز الزخارف المنفذة على هذا الخزف. وقد أمدتنا حفرية الربذة بأوانٍ كاملة من نوعه، كما عثر على كسر صغيرة منه في مواقع متعددة بالمملكة.

والخزف ذو البريق المعدني lustre ware هو النوع الثامن الذي عُثر على نماذج منه في المواقع الأثرية في المملكة. وهو نوع من الخزف الإسلامي المبكر تستخدم فيه الأواني المطلية بطلاء القصدير الأبيض، حيث ترسم عليها زخارف متنوعة بمادة البريق المعدني ويعاد حرقها في أفران خاصة ذات حرارة منخفضة؛ فينتج عن ذلك أوانٍ ذات زخارف براقة ذهبية اللون، أو متعددة الألوان، يعدها بعض الدارسين بديلاً اهتدى إليه المسلمون ليحل محل أواني الذهب والفضة المحرمة الاستخدام في الإسلام. وقد عرفت صناعة أواني الخزف ذي البريق المعدني خلال القرن الثالث الهجري، وصنعت في العراق للمرة الأولى، وقيل في إيران، وقيل في مصر. ووجدت منها نماذج كاملة، وهي صحون وطاسات ودوارق وجرار صغيرة ومتوسطة الحجم، عثر عليها في حفريات سامراء وسوسة والفسطاط ونيسابور والرقة ومدينة الزهراء في الأندلس ومواقع إسلامية كثيرة منتشرة في كافة أنحاء البلاد الإسلامية. كما عثر على بلاطات من خزف البريق المعدني في محراب المسجد الجامع بالقيروان.

أما في المملكة فقد أمدتنا أعمال المسح والتنقيب الأثري التي جرت حتى

إناء من الفخار العباسي ذي البريق المعدني

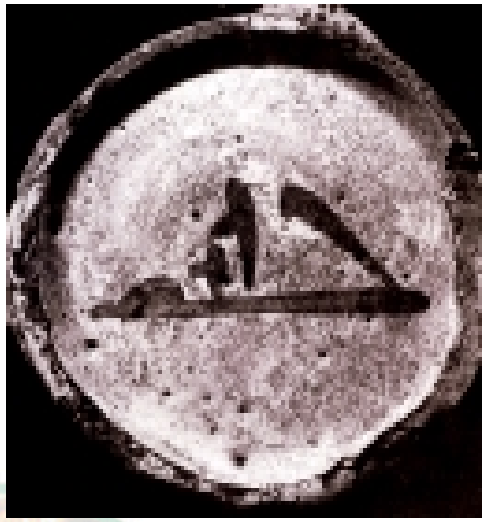

إناء من الخزف العباسي ذي البريق المعدني

الآن في بعض المواقع الأثرية الإسلامية بأوانٍ كاملة وكسر تمثل بعض الأنماط المشهورة لخزف البريق المعدني. ويرجع تاريخ هذه الكسر والأواني إلى فترة القرن الثالث والرابع والخامس وبداية السادس للهجرة، أي من العصرين العباسي والفاطمي.

ويمكن حصر أهم أنماط الخزف ذي البريق المعدني التي ظهرت حتى الآن في المواقع الأثرية بالمملكة فيما يلي:

١) أواني البريق المعدني المتعددة الألوان polychrome lustre ware: ويطلق عليها بعض الباحثين طراز سامراء، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري وبداية الرابع. ويمتاز هذا النمط باستخدام ألوان متعددة في مادة البريق، أبرزها اللون الأخضر الزيتوني والبني والبنفسجي. كما يمتاز بكثرة استخدام العناصر الهندسية والنباتية المحورة في الزخرفة، واستخدام زخرفة الدائرة والنقطة لملء الفراغات بين العناصر الزخرفية الأساسية. وتوجد أمثلة متعددة من هذا النمط عثر عليها في حفرية الربذة.

٢) أواني البريق المعدني ذات اللون الواحد monochrome lustre ware: وتمتاز باستخدام اللون الأخضر الزيتوني في مادة البريق، واستخدام الرسوم الآدمية ورسوم الحيوانات والطيور كعناصر رئيسية في الزخرفة. وقد عثر على أوانٍ كاملة من هذا النمط في حفرية الربذة، كما عثر على كسر كثيرة منه في مواقع مختلفة بالمملكة يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري.

٣) أواني البريق المعدني الإخشيدية: وتوجد كسر قليلة منها عثر عليها في

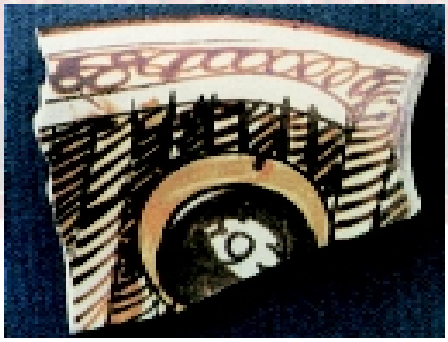

كسرة من الفخار العباسي ذي البريق المعدني

مواقع شمال غرب المملكة تحمل خصائص الخزف ذي البريق المعدني الذي يعود لفترة العصر الإخشيدي في مصر. وتمتاز هذه الكسر بزخارفها المكونة من أوراق لوزية كبيرة، وأنصاف مراوح نخلية، وكتابات عربية كوفية منفذة باللون الأخضر الزيتوني أو الذهبي. وقد عثر في حفرية المابيات على أجزاء من أوان تحمل هذه الخصائص، كما عثر على كسرٍ مماثلة لها في موقع بدا شرق الوجه.

٤) أواني البريق المعدني الفاطمية: وتمتاز أواني البريق المعدني الفاطمية بكثرة استخدام الرسوم الآدمية والحيوانية والطيور في زخرفتها. ويعد خزف البريق المعدني الفاطمي من أرقى أنواع الخزف الإسلامي المبكر لما يحويه من زخارف تصور موضوعات متنوعة من البيئة، ومن الحياة اليومية وحياة البلاط في العصر الفاطمي. وتوجد مدارس كثيرة تعرف عليها الباحثون في إنتاج العصر الفاطمي من خزف البريق المعدني، أشهرها مدرسة مسلم بن الدهان، ومدرسة سعد. وقد جُمعت كسر من نوع الخزف ذي البريق المعدني الفاطمي من موقع الجار يمكن نسبتها إلى مدرسة مسلم بن الدهان. كذلك عثر على كميات من هذا النوع في موقع المابيات في العلا.

نماذج من الفخار غير المزجج، الذي أنتج خلال القرون التي تلت سقوط الدولة العباسية

**الفخار في العصور الإسلامية المتأخرة.** عُثر في بعض مناطق المملكة على أنماطٍ من الفخار غير المزجج الذي أنتج خلال القرون التي تلت سقوط الدولة العباسية. وأهم المناطق التي اشتهرت بإنتاج الفخار خلال تلك الفترة الأحساء والمخلاف السليماني والحجاز، وهي مناطق ما تزال تمارس فيها صناعة الفخار حتى الوقت الحاضر. ومعلوماتنا عن أنماط الفخار المحلي الذي أنتج في هذه المناطق خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الهجري، قليلة جداً لعدم وجود دراسة تناولت هذا الفخار حتى الآن. وكذلك الحال بالنسبة للفخار المستورد من الخارج خلال العصور الإسلامية المتأخرة، فمعلوماتنا عنه أيضاً

محدودة في الوقت الحاضر. فالفخار الأيوبي لم تسجل أعمالُ المسح والتنقيب بالمملكة حتى الآن وجود كسر من أنواعه المعروفة داخل حدود المملكة، والمعروف أن طريق الحج المصري كان متوقفاً خلال العصر الأيوبي بسبب وجود الصليبيين في أيلة، وكان حجاج مصر يصلون إلى جدة بطريق البحر. أما طريق الحج الشامي فكان مستخدماً خلال العصر الأيوبي، وقد أنشأ المعظم أيوب حاكم دمشق بركاً في بعض محطاته الواقعة في المملكة، مثل بركة المعظم. كما أن مدينة العلا كانت بلدة عامرة ومحطة رئيسية على الطريق في تلك الفترة، غير أن أعمال المسح في منطقة المعظم وفي بلدة العلا لم تسجل وجود كسر من أنواع الفخار والخزف الأيوبي المعروفة.

أما الفخار والخزف المملوكي فتوجد منه كسر في بعض محطات طريقي الحج المصري والشامي الواقعة في المملكة، مثل محطات الأخضر، وبئر السعيدني، والأزنم، ونبط. وكسر الفخار المملوكي الموجودة في هذه المحطات قليلة جداً ومعظمها أنماط فخارية غير متميزة. كما توجد في بعض موانئ البحر الأحمر، مثل ميناء الشرجة الواقع في سهل تهامة الجنوبي، أنماط فخارية تشبه أنماط الفخار المملوكي التي وجدت في موانئ البحر الأحمر المصرية، مثل ميناء القصير.

أما فخار العصر العثماني، فتتوافر منه نماذج كثيرة في مواقع القلاع العثمانية المنتشرة في مختلف مناطق المملكة. وهو يشمل فخاراً غير مزجج، وفخاراً مزججاً بطلاء الرصاص وبالطلاء القلوي، وأنواعاً متعددة من الخزف ومن السيلادون. غير أن الفخار والخزف العثماني الموجود بالمملكة لم يحظ بأي دراسة، ولم يجمع بشكل منظم، ولم تجر له أي عملية تصنيف. وبالإضافة إلى الفخار العثماني الموجود في المواقع الأثرية توجد مجموعات من البلاطات الخزفية العثمانية المعروفة ببلاطات إزنك مثبتة في جدار القبلة بالمسجد النبوي

بلاطات خزفية في جدار القبلة بالمسجد النبوي الشريف

وحول الحجرة النبوية، ويرجع تاريخها إلى عصر السلطان عبدالمجيد.

كما توجد مجموعة قليلة من بلاطات إزنك فوق مدخل قلعة تبوك كتب عليها نص يشير إلى تجديد عمارة القلعة في عصر السلطان محمد الرابع. وتحتفظ بعض الأسر في الحجاز والأحساء ونجد بأوانٍ من خزف إزنك وكوتاهية التركيين يرجع تاريخ صنع بعضها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة.

بقي أن نشير إلى وجود مجموعات من روائع التحف الخزفية الإسلامية ضمن المجموعات الخاصة التي يمتلكها عدد من السعوديين أمثال الشيخ رفعت شيخ الأرض، والأستاذ عبدالرؤوف خليل. ومقتنياتهم من التحف الخزفية الإسلامية لم تدرس بعد.

## المصنوعات الخشبية

إضافة إلى صناعة الفخار ازدهرت المشغولات الخشبية خلال العصر الإسلامي وقبله في الجزيرة العربية ازدهاراً واضحاً، وهو ما نعرض له فيما يلي بإيجاز من حيث أسلوب صناعة الأدوات والأواني الخشبية وغير ذلك مما يمسُّ حياة الإنسان في الجزيرة العربية.

**في عصر ما قبل الإسلام.** ارتبطت الصناعات الخشبية قبل الإسلام بالنجارة التي كان لها شأن كبير في حضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام. بل إن حياة الإنسان ارتبطت منذ القدم بالمواد المصنوعة من الخشب، سواء ما كان منها مواد للبناء أو للدفاع عن النفس. وكانت العصا، وهي مصنوعة من الخشب، جزءاً من حياة الإنسان في كل مكان، وقد استخدمها في أغراض كثيرة، وورد ذكرها في القرآن الكريم في قصة موسى، عليه السلام، في قوله تعالى ﴿قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهشُّ بها على غنمي ولِيَ فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨).

كما أشار القرآن الكريم إلى صناعات أخرى من الخشب، ففي قصة داود، عليه السلام، ورد قوله تعالى ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات..﴾ (سبأ: ١٣). وفي صناعة السفن قال تعالى ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ (القمر: ١٣).

وعندما انتظمت الحياة في الجزيرة العربية، وظهرت الحضارات في جنوبها وشمالها وتعاقبت الممالك العربية، مثل دول معين وقتبان وحضرموت وطسم

وجديس وسبأ وحمير وكندة وحضرموت وغيرها من الممالك العربية، كان للتجارة دور كبير في تطوير الصناعات الخشبية اللازمة للبناء وحفظ الأطعمة والأشربة وغير ذلك.

وكانت تجارة الأخشاب من التجارات الشائعة في الجزيرة العربية قبل الإسلام. فبالإضافة إلى ما يتوافر في الطبيعة من أخشاب محلية كان الخشب المستورد من الهند وأفريقيا مرغوباً فيه لاستخدامه في الصناعات المختلفة، ومن ذلك خشب الساج والأبنوس والصندل الذي كان يستخدم في المباني والقصور والمعابد. واستخدمت الأخشاب في صناعة الأسقف والأبواب والنوافذ وفي صناعة الأسلحة، مثل القسي والرماح ومقابض السيوف والخناجر، وصناعة الصحاف والجفان والأثاث المنزلي وأدوات الغزل والنسيج والسلالم الخشبية. ودخلت الصناعات الخشبية في لوازم السفر التي توضع على ظهور الدواب، مثل الهوادج والسروج. كما عُرفت المهارس والمدقات الخشبية، فضلاً عن أدوات الكتابة، كالمحابر والأقلام المصنوعة من الخشب.

والنجارة من المهن القديمة التي عرفها العرب وقد وردت في النقوش القديمة كلمة نجار أو النجار. وكانت بعض التماثيل في الجاهلية تصنع من الخشب، وقد عثر المنقبون في اليمن وحضرموت على عينات من الصناعات الخشبية هي ألواح وشبابيك ومواد خشبية منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة بحيث تدل على دقة الصناعة والمهارة الفنية التي تميز بها الصُنّاع.

ووردت في كتابة المسند كلمة عضم وعض ويراد بها الخشب. وفي كتب اللغة ذكرت كلمة العضم بمعنى خشبة ذات أصابع يُذَرَّى بها الحنطة. وهناك أدوات يستخدمها النجارون في صناعة الخشب، منها الفأس والمنشار والمحفار والمحفرة وهي حديدة يحفر بها، والمنقار وهو حديدة كالفأس مستديرة، والمحل وهو آلة ينحت بها الخشب كالمبرد، والمثقب والكلبتان والمسامير والأوتاد، وغير ذلك من الأدوات التي تستعمل في قطع الخشب وتنظيمه وصقله وهندسته.

ومن الأدوات المستخدمة في تربيع الخشب الكوس وهي خشبة مثلثة. ولا نستبعد أن يكون عرب الجزيرة قد عرفوا صناعات العربات التي تجرها الدواب، كما عرفوا الدبابات الخشبية المستخدمة في اقتحام أسوار المدن والمباني الحصينة.

وعلى أي حالٍ، فإن كتب التراث الأدبي والمعاجم اللغوية غنية بأسماء كثيرة للأواني والأدوات الخشبية التي عرفها عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ومن أشهر الأواني المعروفة الصحاف ولها أسماء كثيرة، مثل الفيحة، والصحفة، والمئكلة، والقصعة، والدسيعة، والجفنة، وهي أكبر آنية الطعام. وتطلق الجفنة على الرجل الكريم المطْعام، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت في ملوك آل جفنة من أهل اليمن الذين استوطنوا الشام:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم

قبر ابن مارية الكريم المفضل

وعلى صعيد الاكتشافات الأثرية الحديثة، فيما يتعلق بالصناعات الخشبية،

إناء من لحاء الشجر عليه زخارف محفورة ذات ألوان متعددة من قرية «الفاو»

فعلى الرغم من قلة الحفائر الأثرية الموسعة إلا أن ما عثر عليه من نماذج خشبية مصنعة إنما يدلّ على ازدهار الصناعات الخشبية في عصر ما قبل الإسلام.

فإذا نظرنا إلى حفائر قرية الفاو، فإننا نجد أمثلة بديعة من الصناعات الخشبية الراقية التي عرفها أهل القرية. فعلى سبيل المثال تم العثور على جزءين من جسمي إناء مصنوعين من لحاء الشجر على كل منها زخارف نباتية محفورة ذات ألوان متعددة. كما عثر على قطع خشبية تمثل أجزاءً من موازين ومزاليج أبواب وأدوات غزل ونسيج وتوابيت من خشب الصندل. كما عثر على ألواح خشبية معشقة بنصوص كتابية بخط المسند.

ولعل من أبرز الصناعات الخشبية الأدوات الخاصة بالزينة، حيث عثر على أنواع عديدة من الأمشاط الخشبية المصنوعة على أرقى مستوى من الفن. فهي معمولة من قطع خشبية مصقولة ذات لون بني وأسود ورمادي، ولها أسنان طويلة ومتقاربة تظهر على طرفي المشط، ففي أحد الأطراف تأتي الأسنان دقيقة متقاربة الفتحات، أما في الطرف الآخر فتأتي عريضة ومتباعدة بحيث تكون صالحة لاستخدامات متعددة،

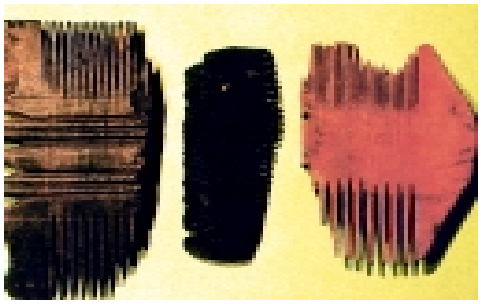

أمشاط خشبية من قرية «الفاو»

للرجال والنساء على حد سواء، ولمختلف الأعمار.

والملاحظ على الأمشاط المكتشفة في قرية الفاو أن المساحة في منتصفها عليها حزوز طولية زخرفية، وأطراف مفرغة يسهل إمساكها أثناء عملية التمشيط.

**في العصر الإسلامي.** النجارة وما يتبعها من صناعات خشبية هي امتداد للصناعات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية قبل الإسلام. وكان أن تطورت هذه الصناعات في العصر الإسلامي بسبب النمو العمراني، ونتيجة لظهور المدن وازدهار حركة التجارة والنقل وازدياد عدد السكان، صاحب ذلك كله ازدهار في الزراعة وتطور في العلوم.

وتُعد المصنوعات الخشبية من أهم الصناعات التي لا غنى عنها في كل زمان ومكان، فالأخشاب وما ينتج عنها يحتاج إليه أبناء البادية والحاضرة على حد سواء. فأبناء البادية يحتاجون إلى الأعمدة والأوتاد لخيامهم، وهم بحاجة إلى القسي والرماح والسهام لحماية أنفسهم، والاستفادة منها في الصيد. وأهل الحاضرة بحاجة إلى الأسقف الخشبية لبيوتهم والأبواب لدورهم، عدا ما يحتاجون إليه من أخشاب لإقامة الأسوار والجدران وطي الآبار. والمزارعون وأصحاب المياه بحاجة إلى أدوات الحراثة وما يستخدمونه منها من مصنوعات خشبية لرفع المياه من الآبار والأحواض.

وهناك معلومات قليلة متناثرة عن تطور المصنوعات الخشبية المتعددة في الإقليم الغربي للمملكة وغيرها من الأقاليم. فأدوات القتال المصنوعة من أنواع من الأشجار كانت تشتهر بها بعض القبائل، مثل قبيلة مزينة وبلحارث، حيث كانت تصنع القسي من شجر التالب. وفي العصر الإسلامي اشتهرت النبال اليثربية، وكان الحجاج بن يوسف يجهز الجيوش بها. وكان بعض الناس يجيدون بري النبال من شجر الرمان، مثل الشاعر العرجي بالطائف، وكان أنس بن مالك يجيد بري النبال، وعرف عن كُثَيِّر عزة أنه كان يتقن بري السهام.

وذكرت لنا المصادر بعض الأشجار التي كانت تستخدم في المصنوعات الخشبية، بعضها يجلب من الأقطار المجاورة والغالبية العظمى مما تنتجه البيئة؛ فقد استخدمت أخشاب العرعر والساج والأبنوس المعروف بالشيزى وخشب السمر الذي يقال إنه أجود أنواع الخشب، وكان يجلب إلى القرى، ومن الأشجار المعروفة بالحجاز التي يستخدم خشبها أشجار الشوحط والنشم.

ومن أشهر الصناعات الضرورية التي كان يحتاج إليها الناس في حياتهم اليومية القصاع والصحاف والجفان، وقد اشتهر أناس بصناعتها، ومن هؤلاء أبو رافع مولى الرسول ﷺ الذي كان يعمل عند العباس عم الرسول، وكان ينحت له الأقداح في حجرة زمزم بالمسجد الحرام قبل أن يكون مولى للرسول.

وفي المدينة المنورة صُنع للرسول منبر من الخشب يخطب عليه، وكان الرسول ﷺ يستخدم قدحاً من الخشب، وكان هذا القدح عند أنس بن مالك # بعد وفاة الرسول، فانصدع فشده أنس بفضة، وهذا يدل على وجود صناع يعتنون بإصلاح الأواني الخشبية التي يلحقها عطب. وعرفت المجمرة المصنوعة من الخشب في زمن الرسول ﷺ.

وكان للرسول محجن من خشب يعلق على ظهر البعير يستخدمه في ربط الأمتعة. كما استخدم عليه الصلاة والسلام الكرسي المصنوع من الخشب في بيته وفي المسجد.

واستمر استخدام المدقات والمهارس في العصر الإسلامي، وكانت تصنع من جذوع النخل.

وقد تطورت المصنوعات الخشبية في العصر الإسلامي، خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكان للنجارين حوانيت خاصة بهم، يعرضون فيها ما يصنعونه

قطعة من إطار خشبي من العصر العباسي عليها زخارف بارزة

من أثاث منزلي وأبواب وأوانٍ وغير ذلك من الأدوات.

وكان بعض النجارين يستأجرون للعمل في بيوت الأثرياء، يُشترى لهم الخشب من السوق ومن ثم يصنعون ما يطلب منهم.

تطورت أدوات النجارة في العصر الإسلامي بسبب تعدد أنواع المصنوعات الخشبية. واستمرت هذه الأدوات وحرفة النجارة حتى الوقت الحاضر.

هذا وقد ازدهرت الصناعات الخشبية في العصر الإسلامي المبكر في المدن الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، سواء ما كان داخل المباني الدينية من مساجد ومدارس، أو داخل القصور والمباني والخانات. وما زلنا نشاهد أمثلة من الصناعات الخشبية الراقية في المنشآت المعمارية وداخل المتاحف.

وفي الجزيرة العربية، لاسيما في المدن التاريخية، مثل مكة والمدينة والمدن الساحلية، شكلت المصنوعات الخشبية نسبة كبيرة من مواد البناء خاصة في صناعة الأبواب والنوافذ والأسقف الخشبية التي تمتاز بفن النحت والعناصر الزخرفية المعقدة والمشكلة من زخارف هندسية ونباتية.

وفي ضوء الحفائر الأثرية في المملكة العربية السعودية، نجد أمثلة من المصنوعات الخشبية المبكرة التي توضح

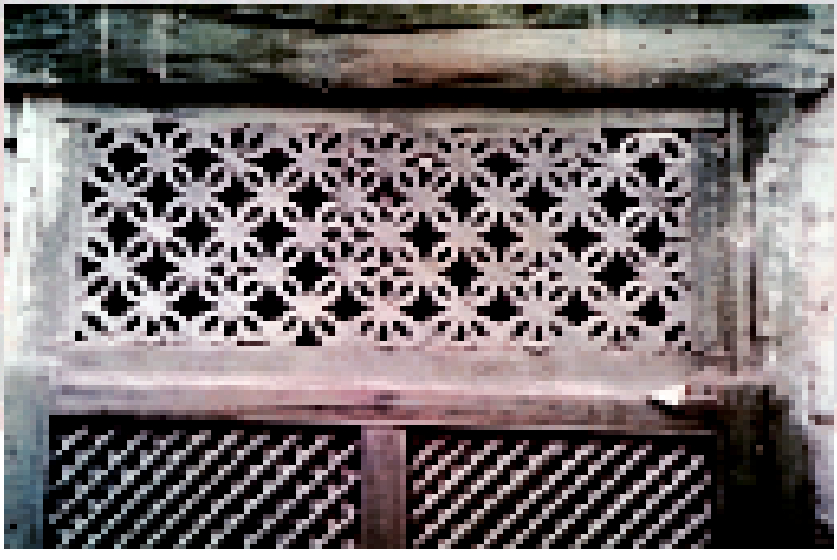

زخرفة خشبية على بعض النوافذ الخارجية لأحد المساكن من العصر العثماني

بدون شك تطور هذه الصناعة في العصور الأولى في الإسلام. ففي حفائر الربذة عُثر على أمثلة من المصنوعات الخشبية كأجزاء من صحاف وجفان خشبية عليها زخارف ورسوم ملونة وأدوات للغزل والنسيج ومحابر خشبية وأقلام للكتابة وسدادات قوارير وأمشاط خشبية متنوعة وأمثلة من إطارات خشبية عليها زخارف بارزة مكونة من أقراص وعناصر نباتية.

كما أوضحت الحفائر الأثرية في الربذة استخدام الأخشاب في مواد البناء أسقفاً للمنازل، كما استخدمت الأخشاب فواصل بين المداميك الجدارية لمقاومة تصدع الجدران بفعل الزلازل.

واجهة خزانة خشبية مزخرفة من منزل بفرسان

مقلمة من الخشب يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري في موقع الربذة